ثقافات الشعوب

@ketab_n
Follow Me
6.12.2014

@ketab_n
Follow Me

ناسك الأقحوان

حكايات شعبية من اليابان

جمع: ريتشارد غوردون سميث
ترجمة: دنيا فرحات

ناسك الأقحوان

حكايات شعبية من اليابان

جمع:
ريتشارد غوردون سميث

ترجمة:
دنيا فرحات

كلمة
KALIMA

أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

ناسك الأقحوان

حكايات شعبية من اليابان

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

ناسك الأقحوان: حكايات شعبية من اليابان

© حقوق الطبع محفوظة
هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)
الطبعة الأولى 1431 هـ 2010 م

PZ81.1.G658.An12 2009
Gordon Smith, Richard, 1858 - 1918.
[Ancient Tales and Folklore of Japan]

ناسك الأقحوان: حكايات شعبية من اليابان/ جمع مومو يوكي، ريتشارد غوردون سميث؛
ترجمة دنيا فرحات. - ط.1.- أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2009.
168ص؛ 19x12.5 سم. (سلسلة ثقافات الشعوب).
تدمك: 978-9948-01-526-0
ترجمة كتاب: Ancient Tales and Folklore of Japan
1 - القصص الشعبية اليابانية. 2 - الحكايات اليابانية. أ- MO-NO-YUKI
ب- فرحات، دنيا.

مراجعة وتحرير: سامر أبوهواش
إخراج وتصميم: أحمد عبد الله التتان

كلمة KALIMA
info@kalima.ae
www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ ،
فاكس: 462 6314 2 971+

www.adach.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ ،
فاكس: 059 6336 2 971+

إن هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة) غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره وإنما تعبّر آراء الكتاب عن مؤلفها.

حقوق الترجمة العربية محفوظة لكلمة
يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

Twitter: @ketab_n

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
تقديم	9
شراب الساكي الأبيض	11
الحسناء الكفيفة	18
سرّ مستنقع ليداماشي	28
شبح يينوكي	35
شبح زنبقة اللوتس	46
معبد الأوابي	55
اليراع البشرية	65
ناسك الأقحوان	71
أميرة الفاوانيا	75
شجرة الكرز التذكارية	82
شجرة كرز جيروهاي، كيوتو	89
شبح الثلج	95
مقبرة الثلج	102
شجرة التنين	111
شجرة الكرز المربعة	120
سيف ناتوري نو هوتو	127
إله الثعبان الأبيض	133
مهرجان سمكة الأوابي	140
روح الصفصافة التي أنقذت شرف العائلة	145
مقبرة شجرة الكافور	152

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

هذه السلسلة

تأتي هذه السلسلة التي تجمع تراث الشعوب من الحكايات والأساطير والخرافات الشعبية، منسجمة مع الأهداف والقيم التي اختطتها لنفسها مبادرة «كلمة» منذ البداية، كمشروع رائد للترجمة في العالم العربي. تلك القيم والأهداف التي تسعى أبوظبي إلى تجسيدها، لتشيع ثقافة التسامح والحوار، وبناء جسور التواصل بين شعوب الأرض وحضاراتها ، وتعزيز العمق الثقافي الجامع بين مختلف الأعراق والجنسيات والثقافات، وجمعها تحت سقف واحد، هو سقف الثقافة والمعرفة والكلمة التي تجمع ولا تفرّق.

وليست حكايات الشعوب هذه، التي تقدّم للمرة الأولى لقرّاء العربية بمثل هذه الشمولية والكثافة والاتساع، إلا ترسيخاً لهذا المشترك الإنساني الجامع. وكأن ما اصطلحت البشرية على تسميته «عولمة» منذ عقدين من الزمان أو نيّف، كان متحقّقاً بالفعل منذ مئات بل آلاف السنين، عبر حكايات نجدها تتنقّل بحرية من أرض إلى أرض، ومن لسان إلى آخر، إذ تطرأ عليها تعديلات هنا أو هناك، لتناسب ثقافة هذا الشعب أو ذائقة تلك الأمة، أو ظروف تلك الجماعة. وفي بعض الأحيان نجد الحكاية نفسها – مع تغيير في أسماء الناس والأمكنة – تروى في أقاصي الشرق، على نحو ما تروى في

Twitter: @ketab_n

أقاصي الغرب، أو شمال الأرض أو جنوبها. فإذا كانت الحكايات تتمتع بميزة أساسية فهي قدرتها على اختراق الحدود الجغرافية والعرقية والنفسية والسياسية والدينية واللغوية، لتولد في كل مرة، وعند كل قوم من الأقوام، بصورة خاصة وفريدة، تشير إلى خصوصية الذات.

وهكذا، تبقى الحكايات سرّ هذه الأرض الواحدة، نبتتها أو لنقل زهرتها الفريدة، التي نبتت من تربتها الخصبة الواحدة، ونمت تحت سمائها الشاسعة الواحدة، لتجوب آفاق الدنيا، مبدّلة ربما أثوابها وألوانها، ولكن محتفظة دوماً بجوهرها الإنساني الفسيح والعميق.

وإننا إذ نقدّم هذه الحكايات، زهرات الأرض الفريدة هذه، في باقة واحدة ثرية الأجناس والألوان، فإيماناً منا بأننا على اختلاف ثقافاتنا وحضاراتنا، أبناء هذه الأرض الواحدة، وبأن ما ترويه جدّة ما لأحفادها في أصقاع القطب الجنوبي، من حكايات تؤكد قيم الخير والحب والعدالة والسلام، ترويه – وإن بلغة أخرى – جدة أخرى في أصقاع أخرى من الأرض، وهذا ما يجعل الحكايات الشعبية ميراثاً أصلياً للبشرية جمعاء، بقدر ما هي ملك أصلي لكلّ شعب من الشعوب وثقافة من الثقافات.

د. علي بن تميم

مدير مشروع «كلمة» للترجمة

Twitter: @ketab_n

تقديم

جميع القصص الواردة في هذا الكتاب منقولة عن مذكرات كبيرة مصوّرة دوّنتها خلال السنوات العشرين التي أمضيتها مرتحلاً في بلدان عدّة، وقد أمضيت السنوات التسع الأخيرة بأكملها تقريبًا في اليابان، أجمع أشياء ذات طابع تاريخي طبيعي للمتحف البريطاني، وأصطاد في البحر الداخلي؛ كنت أنجح أحيانًا وأفشل أحيانًا أخرى لكنني في النهاية قدّمت زهاء خمسين عنصراً جديداً لخزينة العلم، وبحسب السير إدوين راي لانكستر أضفت الكثير إلى معرفة علم الأعراق اليابانية.

من الواضح أن حياتي فرضت عليّ اتصالاً قريبًا مع الناس: الصياد والمزارع والكاهن والطبيب، والأولاد وكل من يُحتمَل أن يكون مصدرًا للمعلومات. كثيرةٌ وغريبةٌ كانت الحكايات التي سمعتها. فضّل الناشرون أن يكون في هذا الكتاب مزيجٌ من القصص عن الجبال والأشجار والأزهار والمواقع التاريخية والأساطير. وفي ما يخصّ ما جمعته في

Twitter: @ketab_n

مذكراتي، لا يسعني سوى أن أشكر الوزير السابق في طوكيو، السير إرنست ساتو، ووزيري الخارجية والزراعة ونائبيهما الذين زودوني بالكثير من رسائل التوصية، وصديقي العزيز السيد هاتوري، حاكم مقاطعة هيوغو، ومترجمي المذكرات والمخطوطات الأصلية (والتي كانت في غالبيتها مكتوبة باليابانية) وأذكر من بينهم السيد أندو، والسيد ماتسوزاكي، والسيد واتانابي. أتوجه أيضًا بالشكر إلى المترجم الفوري المخلص يوكي إيغاوا على جهوده المتواصلة لإيجاد ما أبحث عنه، وإلى الكثير من القرويين اليابانيين والصيادين الذين أحببتهم بسبب طبيعتهم الطيبة ولطفهم وحسن ضيافتهم. وفي الواقع، لا يحكم الشعبَ الفاضل سوى ملك فاضل.

ر. غوردون سميث، يونيو 1908

Twitter: @ketab_n

شراب الساكي الأبيض

منذ أكثر من ألفَيْ سنة، وفي ليلة واحدة، ظهرت بحيرة بيوا في مقاطعة أومي، وجبل فوجي في مقاطعة سوروغا. بالرغم من أن قصّتي تروي هذه الحادثة بصفتها واقعاً إلا أن لكم الحرية المطلقة لتحكموا بالفعل قائلين إن هذا من عمل الطبيعة المذهل، ولكن إن قلتم ذلك فلتقولوه باحترام ومن دون استخفاف وإلا فإنكم تقللون من احترام الأفكار الأخلاقية الموجودة في قصص الفلكلور الياباني، فضلاً عن أنكم لن تتمكنوا من فهمها.

في عصر ذلك الحدث الجغرافي، كان رجلٌ فقيرٌ اسمه يورين، وكان هذا يحبّ شراب الأرزّ (الساكي) فلا يمرّ يومٌ من دون أن يشرب منه ولو القليل. وكان يعيش على مقربة من مكان يُعرَف اليوم باسم سودزوكاوا عند شمال النهر المعروف باسم فوجيكاوا.

في اليوم الذي تلا ظهور جبل فوجي، مرض يورين وصار عاجزاً عن شرب كأس من «الساكي». وساءت حاله أكثر فأكثر، وعندما قطع الأمل من الشفاء قرّر أن يمتّع نفسه بشرب كأس من

Twitter: @ketab_n

«الساكي» قبل أن يموت، فما كان منه إلا أن نادى ابنه كويوري البالغ من العمر أربعة عشر عاماً، وطلب منه أن يأتي له بكأس أو كأسين من «الساكي». احتار كويوري بأمره فلم يكن في المنزل شرابٌ ولا مكان يشتريه منه. لكنه لم يُرِد أن يخبر والده بذلك، خشية أن يزيد الخبر من سوء حالته. فأخذ قارورته واتّجه إلى الشاطئ يتجوّل ويتساءل عن طريقة يلبّي بها مطلب والده. كان كويوري مستغرقاً في التفكير عندما سمع صوتاً يناديه باسمه. نظر إلى أشجار الصنوبر التي تمتد على الشاطئ، فرأى رجلاً وامرأة جالسَيْن تحت شجرة كبيرة، وقد كان لون شعريهما وجسميهما أحمر قرمزياً. ارتعب كويوري للوهلة الأولى، فهو لم يرَ من يشبه هذين الإنسانين من قبل، لكن الصوت كان رقيقاً وقد كان الرجل يشير إليه بالاقتراب. اقترب كويوري والخوف يملأ قلبه، لكن هدوء الشاب الياباني كان واضحاً عليه.

اقترب كويوري ولاحظ أن الغريبين يتناولان «الساكي» في أكواب مفلطحة مسطّحة تُسمّى ساكادزوكي، وكانا يملآن هذه الأكواب من وعاء ضخم موضوع على الرمل بالقرب منهما، وقد لاحظ كويوري أن الشراب كان أكثر بياضاً ممّا يراه عادةً.

Twitter: @ketab_n

كان كويوري مشغول البال بحالة والده، فأمسك القارورة، وأخبر الغريبين بسقم والده ورجاهما أن يعطياه بعض الشراب. فما كان من الرجل القرمزي إلا أن أخذ القارورة وملأها شراباً. سُرَّ كويوري أيما سرور، فشكر الغريبين وانطلق عائداً إلى الكوخ. وما كاد يبلغه حتى صاح: «تفضّل يا أبي، تفضّل، لقد أحضرت لك الساكي، وهو أفضل ما رأيت يوماً. أنا واثقٌ من أن طعمه سيكون أفضل بعد، تذوّقه وقل لي ما رأيك!».

أخذ العجوز الشراب وشربه كلّه وقال إنه أفضل شراب تذوقّه يوماً. وفي اليوم التالي أراد العجوز المزيد، فما كان من كويوري إلاّ أن قصد صديقيه القرمزيّين وملأ القارورة. واستمرّ الوضع على هذه الحال خمسة أيام متتالية، عادت من بعدها الصحّة إلى جسد الوالد العجوز.

وفي الكوخ المجاور لكوخ يورين كان جارٌ فقيرٌ مولعٌ بالساكي غير أنه لا يملك المال الكافي لشرائه. كان اسمه ماميكيكو، وعندما علم أن يورين أمضى الأيام الخمسة الأخيرة يتناول الساكي، أصابته غيرة قاتلة، فنادى كويوري وسأله كيف ومن أين أحضر الشراب لوالده. فأخبره الشاب أنه أحضره من الغريبين القرمزيّيْ الشعر اللذين كانا بالقرب من شجرة الصنوبر الكبيرة خلال الأيام القليلة الماضية.

Twitter: @ketab_n

فقال ماميكيكو: «أعطني قارورتك لأتذوّق، ونشل القارورة من كويوري. وأضاف: «هل تعتقد أن والدك وحده يحبّ تناول الساكي؟». ثم وضع القارورة على شفتيه وراح يشرب، لكنه ما كاد يتذوّق طعم الشراب حتى بصقه ورمى ما في القارورة أرضاً وصرخ: «ما هذا القرف؟ أعطيت والدك أفضل شراب ساكي على الإطلاق وأعطيتني ماءً مقرفاً! ما قصدك من ذلك؟». ثم أمر كويوري بإرشاده إلى الغريبين القرمزيين على الشاطئ وقال له: «سأوسعك ضرباً إن لم أحصل على بعض شراب الساكي الجيّد، فمن الأفضل لك أن تجده!».

تقدّم كويوري الطريق، يبكي ويلعن الساعة التي فقد فيها الساكي الذي رماه ماميكيكو أرضاً، وكان يخشى بشدّة غضب صديقيه القرمزيين. وجد الغريبين في المكان المعتاد يتناولان الشراب كما جرت بهما العادة. تفاجأ ماميكيكو بمظهرهما إذ لم يسبق له أن رأى من يشبههما، فقد كان جسماهما بلون الكرز تحت أشعّة الشمس، وشعراهما الأحمران بثا الرعب في نفسه، كما أنهما كانا عاريين لا تغطّيهما سوى بعض الطحالب عند الخاصرة.

Twitter: @ketab_n

قال الرجل القرمزيّ: «ما بالك تبكي يا كويوري ولِمَ عدتَ باكراً؟ هل تناول والدك شراب الساكي كلّه؟ إن كان قد شربه كلّه فلابدّ من أنه مولعٌ به بقدرنا تماماً».

أجاب كويوري: «كلا، لم يتناول والدي الشراب، بل ماميكيكو هذا أخذه منّي وشرب بعضاً منه ثم بصقه وقال لي إن هذا ليس بشراب الساكي ثم رمى ما في القارورة أرضاً وأجبرني على إحضاره إلى هنا. فهل يمكنني الحصول على المزيد من الشراب لأبي؟». ملأ الرجل القرمزي القارورة وطلب من كويوري ألا يقلق، وقد بدا مسروراً لسماعه قصّة ماميكيكو يبصق الشراب.

فصرخ ماميكيكو: «أنا أحبّ شراب الساكي أكثر من أي شخص آخر، فهلاّ تعطيني بعضاً منه؟».

قال الرجل القرمزي: «تفضّل». فأخذ ماميكيكو الكوب الأكبر وملأه، ثم وضعه بالقرب من أنفه وتنشّق رائحته فوجدها لذيذة، لكن ما كاد الشراب يلامس شفتيه حتى تغيّر وجهه، فبصقه مجدداً لطعمه المقرف.

Twitter: @ketab_n

وصرخ غاضباً: «ما معنى هذا؟». فأجابه الرجل القرمزي بغضب فاق أي غضب: «يبدو أنك لا تعرف من أكون، أنا جنّيٌّ أعيش في قعر المحيط بالقرب من قصر تنين البحر. وقد سمعنا مؤخراً أن جبلاً مقدساً ظهر على مقربة من البحر، فأتيت إلى هنا لأراه، نظراً لكونه فألاً وإشارةً إلى خلود الإمبراطورية اليابانية. كنت أمتّع نظري بشاطئ سوروغا المدهش عندما قابلت هذا الولد كويوري الذي طلب منّي بعض الساكي لوالده المريض، فأعطيته بعضاً منه. إلاّ أن هذا الشراب ليس بشراب عادي بل هو مقدّس، ومن يشربه يعش إلى الأبد ويحافظ على شبابه، كما أنه يشفي المسنّين من سقمهم. لكن يجب أن تعلم أن أي دواء قد يتحوّل إلى سمّ مميت، والأمر سيّان بالنسبة لهذا الشراب المقدّس، فإن شربه صالحٌ تلذّذ بطعمه وإن شربه شريرٌ اشمأزَ من طعمه وتسمّم. وبما أنك لم تجده لذيذاً فهذا يعني أنك رجل شرير أناني وطمّاع. ضحك الجنّيان من ماميكيكو الذي بدأ يبكي خوفاً وندماً عندما سمع أن القطرات القليلة التي شربها ستسمّمه وتودي به إلى الموت. رجا ماميكيكو الجنيين أن يسامحاه ويعطياه فرصة ليحيا حياةً صالحة، فأخذ الجنيّ مسحوقاً وأعطاه لماميكيكو، طالباً منه أن يبتلعه مع القليل من الساكي وقال له: «خيرٌ لك أن تندم وتتوب في عمر متقدّم من ألا تتوب أبداً».

Twitter: @ketab_n

شرب ماميكيكو الشراب هذه المرّة متلذّذاً بطعمه، فشعر أنه بحال أفضل، فتاب وأصبح رجلاً صالحاً، وعاد صديقاً ليورين وجاراً لطيفاً مع كويوري.

بعد مضيّ بضع سنوات، بنى ماميكيكو ويورين كوخاً عند القاعدة الجنوبية لجبل فوجي حيث خمّرا بعض الساكي الذي أعطاهما إياه الجنيّ ووزّعاه على كلّ من يعاني من تسمّم بسبب الشراب. وقد عاش ماميكيكو ويورين ثلاثمئة سنة.

في القرون الوسطى، قام رجلٌ كان قد سمع بهذا القصّة، بتخمير الساكي الأبيض عند قدم جبل فوجي، وقد استخرجه من الأرزّ فأحبّ الناس طعمه كثيراً، وما زال هذا الشراب يُخمَّر في مكان ما عند قدم ذلك الجبل، وهو شراب كحولي تقليدي في فوجي. وقد شربت منه بنفسي في العام 1907 خشية ألا أتجاوز الخامسة والخمسين من العمر.

Twitter: @ketab_n

الحسناء الكفيفة

منذ ثلاثمئة عام تقريباً (أو كما أخبرني راوي القصة خلال العام الثاني من عصر كواني الموافق سنة 1626 إذ أن عصر كواني بدأ في العام 1624 وانتهى في العام 1644) عاش في مقاطعة ميدزورو في تانجو شاب اسمه كيتشجيرو.

ولد كيتشجيرو في قرية تاي مسقط رأس والده ولكن بعد وفاة والده انتقل هو وأخوه الأكبر كيتشيسوك إلى ميدزورو وكان هذا هو القريب الوحيد له على قيد الحياة بالإضافة إلى أحد أعمامه ورعاه لمدة أربعة أعوام وقام بتعليمه منذ كان في الحادية عشرة وحتى بلغ الرابعة عشرة وكان كيتشجيرو ممتناً جداً له وبمجرد بلوغه الخامسة عشرة قرر ألا يثقل كاهل أخيه أكثر من ذلك وأنه لابد له من أن يشق طريقه في الحياة بنفسه.

بعد البحث لمدة أسابيع حصل على عمل لدى شيويا هاتشيمون التاجر في ميدزورو.

Twitter: @ketab_n

عمل بجد وسرعان ما أصبح صديقاً لرب عمله وكان هاتشيمون شديد الإعجاب بالفعل بمساعده الشاب وميزه بعدة طرق عن أقرانه الأقدم وفي النهاية أمّنه على مفتاح خزائنه التي تتضمن أوراقه المهمة وأموالاً طائلة.

كان لهاتشيمون ابنة في مثل سن كيتشجيرو فائقة الجمال والذكاء وقعت في حب الشاب الذي لم يكن يعرف ذلك في البداية وكانت الفتاة تدعى ايما.

كانت ايما فتاة باسمة الوجه متوردة الخدين من نوعية الفتيات اللاتي تجدهن فقط في اليابان، خليط من الأصفر والأحمر ولها شعر وحاجبان لونها داكن السواد.

كانت ايما تمتدح كيشيجيرو من آن لآخر ولكنه كان شاب لم يخطر له الحب على بال وكان يعتزم أن يشق طريقه في العالم ولم يكن يفكر في الزواج في ذلك الوقت.

بعد أن قضى كيتشجيرو ستة أشهر في العمل لدى هاتشيمون حظى بتقدير كبير من صاحب عمله ولكن الموظفين الآخرين لم يحبوه لأنهم كانوا يشعرون بالغيرة منه وكان أحدهم على وجه التحديد يكرهه بشدة وكان يدعى كانشيتشي.

Twitter: @ketab_n

لم يكن يكرهه بسبب تفضيل التاجر له فحسب بل أيضاً لأنه كان يحب ايما التي رفضت عدة مرات محاولاته للتعبير عن حبه لها.

وصلت كراهيته السرية الشديدة لكيتشيجيرو حداً عميقا لدرجة أن كانشيتشي تعهد بالانتقام من كيتشجيرو وفي حالة الضرورة الانتقام من سيده هاتشيمون وابنته ايما أيضاً لأنه كان شاباً شريراً لئيماً.

وفي أحد الأيام حانت له الفرصة لذلك.

كان كيتشجيرو قد كسب ثقة صاحب عمله الذي أرسله إلى كاسومي في مقاطعة تاجيما للتفاوض على شراء خردة وأثناء سفره اقتحم كانشيتشي الحجرة التي فيها الخزانة وسرق من هناك حقيبتين بهما أموال على شكل عملات ذهبية قيمتها مئتي ريو.

أخفى جميع آثار جريمته وعاد لعمله بسرعة وبعد يومين أو ثلاثة أيام عاد كيتشجيرو من السفر بعد أن أنجز مهمته بنجاح وبعد أن أبلغ التاجر بتفاصيل ما قام به عاد لممارسة عمله المعتاد.

Twitter: @ketab_n

بعد فحص الخزانة اكتشف أن هناك مئتي ريو ذهبية مفقودة فاجتاحت حالة من التوتر مقر عمله وسكنه.

وبعد ساعات من البحث عن الأموال عثروا عليها في مبخرة يمتلكها كيتشجيرو الذي كانت المفاجأة الأكبر من نصيبه وكان كانشيتشي هو من عثر على الأموال بعد أن كان قد وضعها هناك من قبل بالطبع ولم يتهم كيتشجيرو بسرقة الأموال لأن خططه كانت أعمق من ذلك وبعد العثور على الأموال هناك علم أن كيتشجيرو نفسه كان لابد من أن يقول شيئاً ما وبالطبع قال كيتشجيرو إنه بريء وإنه عندما سافر إلى كاسومي كانت الأموال في الخزانة وقد تفقدها قبل السفر مباشرة.

شعر هاتشيمون بالضيق الشديد لأنه كان مقتنعاً ببراءة كيتشجيرو ولكن كيف يمكنه إثبات ذلك؟

وعندما لاحظ كانشيتشي أن سيده لا يصدق أن كيتشجيرو لم يسرق الأموال قرر أنه لابد له من أن فعل شيء آخر يضمن قيام هاتشيمون بطرد غريمه اللدود كيتشجيرو ولذلك ذهب لسيده وقال له: «ياسيدي، بصفتي كبير العاملين لديك لابد من أن أخبرك أنه على الرغم من كيتشجيرو قد يكون بريئاً فهناك أدلة تثبت عكس ذلك إذ كيف وصلت الأموال إلى مبخرته؟ وإذا لم يُعاقب فإن تهمة السرقة

Twitter: @ketab_n

ستشملنا جميعاً، نحن عمالك وخدمك المخلصون وسأضطر أنا نفسي لترك خدمتك وكذلك سيفعل الآخرون ولذلك فإنني مضطر أن أخبرك يا سيدي بأنه سيكون في صالحك أن تطرد كيتشجيرو الذي أشعر بالحزن العميق تجاه حظه العاثر».

شعر هاتشيمون بقوة الحجة التي ساقها كانشيتشي ووافق وطرد كيتشجيرو وقال له: «إنني شديد الأسف يا كيتشجيرو ولكني مضطر إلى ذلك، مع أنني لا أصدق أنك أنت الذي ارتكبت السرقة ولكني أعلم أنني إذا لم أفعل ذلك فإن جميع موظفيّ سيتركون العمل وهذا سيدمر عملي ولكي أؤكد لك أنني مؤمن ببراءتك، وأنا أعرف أن ابنتي ايما تحبك وإن شئت وبعد أن تثبت براءتك سيسعدني جداً أن تعود مجدداً كزوج لها، والآن اذهب وحاول أن تفكر في طريقة تثبت بها براءتك ولتصحبك أصدق أمنياتي».

شعر كيتشجيرو بحزن عميق والآن بات مضطراً للرحيل واكتشف أنه سيفتقد صحبة ايما الرقيقة أكثر مما كان يتخيل، وطفرت الدموع من عينيه ووعد الأب بأنه سيعود ويثبت براءته ويتزوج ايما، ولأول مرة تبادل مشاعر الحب مع ايما وتعهدا بألا يهنأ لهما بال حتى يكتشف اللص المتآمر، وأن يتحدا بحيث لا يمكن أن يفرق أحد بينهما مرة أخرى.

Twitter: @ketab_n

وعاد كيتشجيرو إلى شقيقه كيتشسوك في قرية تاي ليستشيره حول أفضل ما يمكنه فعله لتبرئة ساحته وبعد عدة أسابيع حصل على عمل عن طريق شقيقه لدى عمه الوحيد الباقي على قيد الحياة في كيوتو وظل يعمل بجهد وإخلاص لمدة أربعة أعوام وحقق أموالاً طائلة لمزرعة عمه وحظي بإعجاب شديد من جانب عمه الذي جعله وريثاً لمساحة كبيرة من الأرض ومنحه حصة في عمله ووجد كيتشجيرو نفسه في سن العشرين وقد صار ثرياً.

في الوقت نفسه تعرضت ايما الجميلة لكارثة فبعد أن ترك كيتشجيرو ميدزورو بدأ كانشيتشي في محاولة لفت انتباهها ولكنها لم تعره اهتماماً ولم تكن حتى تتبادل أطراف الحديث معه وهو ما جعله يشعر بغضب شديد حتى إنه اعتاد في نهاية الأمر على التحرّش بها وفي إحدى المرات استخدم معها العنف وحاول أن يأخذها بالقوة ولذلك اشتكت لوالدها الذي سرعان ما طرده من خدمته.

وتسبب ذلك في إغضاب الشرير كانشيتشي أكثر من ذي قبل وهناك مثل في اليابانية معناه أن الإفراط في الحب يؤدي للكراهية وهذا هو ما حدث لكانشيتشي حيث تحول حبه إلى كراهية وفكر في كيفية الانتقام من هاتشيمون وايما.

Twitter: @ketab_n

وكانت أبسط طريقة فكر بها هي إحراق منزلهما ومكاتب العمل ومخازن البضاعة لأن ذلك كفيل بتدميرهما ولذلك وذات ليلة باردة بدأ في تنفيذ خطته وأصاب نجاحاً ساحقاً باستثناء أنه هو نفسه ضبط متلبساً بجريمته وعوقب بقسوة وكان ذلك هو التعويض الوحيد الذي حصل عليه هاتشيمون الذي تحطم تماماً وقام بصرف موظفيه واعتزل العمل لأنه بات طاعناً في السن ولا يستطيع أن يبدأ من جديد.

وعاش هاتشيمون وابنته الجميلة في كوخ متواضع على ضفة النهر ولم يكن يملك سوى ما يسد رمقه وابنته فقط وكانت متعة هاتشيمون الوحيدة هي صيد الأسماك وظل على هذا الحال لمدة ثلاثة أعوام ثم أصيب بالمرض ومات.

وجدت ايما نفسها وحيدة حزينة على الرغم من أنها ظلت تحتفظ بجمالها.

راحت صديقاتها القليلات يحاولن إقناعها بالزواج قائلات إنها لابد من أن تعجل بذلك بدلاً من أن تعيش بمفردها لكنها لم تستمع لتلك النصيحة وقالت: «من الأفضل أن أعيش وحيدة بائسة على أن أتزوج من إنسان لا أحبه، وليس في قلبي سوى كيتشيجيرو على الرغم من أني لن أراه مجدداً».

Twitter: @ketab_n

لقد ذكرت ايما الحقيقة في تلك اللحظة من دون أن تدرك ذلك والحقيقة هي أن المصائب لا تأتي فرادى وتعرضت ايما للمزيد من المتاعب وأصيبت بمرض في عينيها بعد أقل من شهرين من وفاة والدها وأصبحت الفتاة المسكينة كفيفة لا ترعاها سوى ممرضة عجوز بقيت معها على الرغم من جميع متاعبها.

كانت ايما تمتلك بالكاد ما يكفي لشراء الأرز.

وفي ذلك الوقت أصاب كيتشجيرو نجاحاً باهراً ومنحه عمه نصف مكاسب العمل وأوصى له بجميع ممتلكاته، وقرر كيتشجيرو أن يعود ويعلن براءته أمام سيده القديم في ميدزورو ويطلب منه يد ابنته ايما للزواج.

توجه كيتشجيرو إلى كوخ الفتاة بعد أن علم بالقصة المؤسفة للتدهور والدمار وفقد ايما بصرها وجرت ايما المسكينة ورمت نفسها بين ذراعيه وبكت بمرارة وقالت وهي تبكي: «كيتشجيرو حبيبي، هذا هو أقسى ما يمكن أن يحدث لي، لم يكن لفقدان بصري قيمة من قبل ولكن الآن بعد عودتك لا يمكنني أن أراك ولا يمكنك أن تتخيل كم اشتقت إليك، إن هذا أسوأ ما حدث لي على الإطلاق، لا يمكنك أن تتزوجني الآن».

Twitter: @ketab_n

شعر كيتشجيرو بالشفقة نحوها وقال: «حبيبتي إيما لا يجب أن تتسرعي في أفكارك، فأنا لم أتوقف عن التفكير فيك للحظة، إنني أحبك بشدة والآن لدي منزل في كيوتو ولكن إن شئت سنعيش هنا في هذا الكوخ وأنا مستعد لأن أحقق لك كل ما تتمنين وأرغب في بدء تجارة والدك القديمة من جديد من أجل أسرتك ولكن أولاً لابد من أن نتزوج ولا نفترق مجدداً أبداً وسنفعل ذلك غداً ثم سنذهب معاً إلى كيوتو لنقابل عمي ونطلبه نصيحته فهو رجل صالح وطيب وستحبينه وأنا متأكد من أنه سيحبك هو الآخر».

وفي اليوم التالي ذهبا إلى كيوتو وقابل كيتشيجيرو شقيقه وعمه ولم يعترض أي منهما على عروسه لأنها كفيفة بل شعر العم بالسرور لإخلاص ابن أخيه ومنحه نصف رأسماله.

بنى كيتشجيرو منزله الجديد ومقر عمله في ميدزورو في المكان الذي كان فيه مقر سيده القديم هاتشيمون وقام بإعادة إنشاء تجارته بالكامل وأطلق على شركته اسم شيويا هاتشيمون الثانية كما جرت العادة في اليابان (وهو ما يزيد من حيرة الأوروبيين الذين يدرسون الأدب الياباني لأن التلاميذ عادة ما يحملون أسماء أساتذتهم المهرة ويطلقون على أنفسهم ألقاباً مثل الثاني أو الثالث أو الرابع وهكذا).

Twitter: @ketab_n

في حديقة منزلهما في ميدزورو شيد جبل صناعي وقام كيتشجيرو بوضع شاهدة قبر عليه أو نصب تذكاري لحماه هاتشيمون وعند سفح الجبل أقام نصباً تذكارياً لكانشيتشي وبهذا قابل الشر والكراهية بالإحسان ولكنه أظهر في الوقت نفسه أن الأشرار لا يمكنهم أن يتوقعوا الوصول لمكانة مرموقة وكان يأمل أن تتصالح روحا الرجلين.

ويقال إن الضريحين التذكاريين ما زالا قائمين في ميدزورو.

Twitter: @ketab_n

سرّ مستنقع إيداماشي

في السنة الأولى من عصر بانكيو، أي في العام 1861–1864، عاش في كازوميغازيكي في مقاطعة كوجيماشي رجلٌ اسمه يهارا كايزوكي، كان «هاتاموتو» أي من الإقطاعيين التابعين للحاكم العسكري الأعلى في ذلك الوقت، وكان جديراً بالاحترام طيب القلب عادلاً في تعامله مع الناس. وكان في ليداماشي «هاتاموتو» آخر هو هاياشي هاياتو، وقد كان متزوّجاً من شقيقة يهارا لخمس سنوات. كانا يعيشان بسعادة ما بعدها سعادة، وابنتهما البالغة من العمر أربع سنوات مملأ قلبهما فرحاً وسرور. كان كوخهما متصدّعاً لكنه كان ملكاً لهاياشي مع المستنقع أمامه، بالإضافة إلى مزرعتين، وبلغت مساحة الملكية بأكملها زهاء المئتي فدّان، تغطّي نصفها المزروعات. فما كان هاياشي بحاجة ليكدّ في العمل، بل يكتفي بصيد الأسماك في الصيف، والكتابة في الشتاء، وكانوا يعتبرونه شاعراً.

Twitter: @ketab_n

في الوقت الذي جرت فيه هذه القصّة، كان هاياشي قد زرع الأرزّ والبطاطا الحلوة، وبات يمضي معظم وقته مع زوجته يصطاد في المستنقع المليء بالسلاحف والأسماك. فجأةً انقلبت الأمور رأساً على عقب.

تفاجأ يهارا في صباح أحد الأيام بزيارة من شقيقته السيدة كومي.

قالت له: «أتيت إليك يا أخي أرجوك أن تساعدني على الطلاق من زوجي أو الانفصال عنه».

فأجاب يهارا: «الطلاق! ولِم تريدين الطلاق؟ ألم تقولي دائماً إنك سعيدة مع زوجك صديقي العزيز هاياشي؟ ما هو السبب المفاجئ الذي دفعك إلى طلب الطلاق؟ لقد مرّ على زواجكما خمس سنوات وهذا كاف ليبرهن أن حياتكما سعيدة وأن هاياشي يعاملك أحسن المعاملة».

في البداية لم ترد السيدة كومي الإفصاح عن السبب الذي دفعها إلى طلب الطلاق، لكنها في النهاية قالت: «لا تعتقدنّ يا أخي أن هاياشي رجلٌ سيءٌ، فهو رجلٌ طيبٌ بكلّ ما للكلمة من معنى، ونحن نحبّ بعضنا حباً جماً، لكن كما تعرف يا أخي،

Twitter: @ketab_n

كانت هذه الأرض والمزارع التي نعيش على واحدة منها، ملكاً لعائلة هاياشي منذ ثلاثمئة سنة. ولا شيء سيتمكّن من إقناع هاياشي بتغيير مسكننا، وما طلبت ذلك إلاّ منذ اثني عشر يوماً».

فسأل يهارا: «وما الذي حصل في هذه الأيام الاثني عشر؟».

أجابت السيدة كومي: «يا أخي العزيز، لا يمكنني التحمّل أكثر، كانت الأمور تسير بشكل جيد إلى حين وقع أمرٌ فظيعٌ منذ اثني عشر يوماً. كان الطقس دافئاً والظلام حالكاً، وكنت جالسةً في الخارج أتأمّل الغيوم تحجب القمر وأتحدّث مع ابنتي. فجأةً ظهر طيفٌ أبيض يسير على زنابق الماء في المستنقع. كان الطيف شديد البياض، مبللاً، يملأك الحزن لمجرّد النظر إليه! بدا كأنه يخرج من المستنقع ويطوف في الجوّ، ثم اقترب مني على مهل حتى أصبح على بعد عشرة أقدام منّي. وما كاد يقترب حتى قالت ابنتي: انظري يا أمي، إنها الآنسة سومي، هل تعرفين الآنسة سومي؟ أعتقد أنني أجبتها بأنني لا أعرفها، لكنني في الواقع كنت مرتعبة لدرجة أنني لم أعرف ماذا قلت. كان من المروّع النظر إلى ذلك الطيف، فقد كان طيف فتاة في الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة من عمرها، شعرها أشعث يتدلّى

Twitter: @ketab_n

على كتفيها الأبيضين المبلّلين، وكانت تصرخ النجدة! النجدة! ارتعبت لدرجة أنني أغمضتُ عينيّ وناديتُ زوجي الذي كان في الكوخ، فخرج ليجدني فاقدة الوعي، وابنتي بجانبي مرتعبةً. لم يرَ هاياشي شيئاً. حملنا إلى الداخل وأقفل الأبواب، وقال لي إنه لابدّ من أنني كنت أحلم. وأضاف متهكّماً: قد يكون ما رأيتِ مخلوق الكابّا الذي يقال إنه يسكن هذه البحيرة والذي لم يرَه أي فرد من عائلتي منذ أكثر من مئة عام. كان هذا كلّ ما قاله زوجي حول الموضوع. في الليلة التالية، كنتُ في الفراش عندما هرعت إليّ ابنتي وهي تبكي من شدّة الخوف وتقول: «الآنسة سومي، إنها الآنسة سومي يا أمّي، تبدو فظيعةً جداً، هل ترينها يا أمّي؟ لقد رأيتها. وقفت مبلّلةً على بعد ثلاثة أقدام من سريري، ببياضها المرعب وشعرها الأشعث المتدلّي على كتفيها. صرخت النجدة! النجدة! ثم اختفت. منذ ذلك الحين لم تعرف عيناي ولا عينا ابنتي النوم، وفي كلّ ليلة يزورنا طيف الآنسة سومي كما تناديها ابنتي. سأقتل نفسي إن بقيت ليلة إضافية في ذلك الكوخ الذي أصبح مكاناً مرعباً لي ولابنتي. أما زوجي فلا يرى الشبح بل يضحك منّي وهذا ما يدفعني إلى طلب الطلاق منه».

Twitter: @ketab_n

أخبر يهارا شقيقته أنه سيتكلّم مع هاياشي في اليوم التالي وأعادها إلى الكوخ لتمضي الليلة في منزل زوجها.

في اليوم التالي، زار يهارا كوخ شقيقته وتكلّم إلى زوجها وعندما أنهى كلامه، أجابه هاياشي: «هذا غريب، لقد وُلِدتُ في هذا المنزل منذ أكثر من عشرين سنة، لكنني لم أرَ يوماً الشبح الذي أخبرتك عنه زوجتي ولا سمعتُ عنه، ولا لمحه أحدٌ من والديّ. سأسأل الجيران والخدم إن كانوا قد سمعوا شيئاً عن هذا الشبح أو عن أي طيف آخر. لابدّ من أنه ثمة خطب ما، فمن المستحيل أن تعرف ابنتي الصغيرة اسم سومي وهي لا تعرف أحداً بهذا الاسم».

سأل هاياشي الجيران والخدم عن الشبح لكن أحداً لم يرَه أو يسمع عنه. ففكّر هاياشي أنه بما أن الشبح مبلّلٌ فلابدّ أن يكون حلّ هذا اللغز في تجفيف المستنقع– إذ قد يكون فيه بقايا شخص ميت ظهر بشكل شبح ليطلب دفنه وتقديم الصلوات من أجل روحه.

كان المستنقع قديماً عميقاً، تغطّيه الأعشاب، ولم يسبق أن تمّ تجفيفه قط. ويقال إنه كان في المستنقع مخلوق أسطوري اسمه الكابّا نصفه بشري ونصفه الآخر سلحفاة. في كل الأحوال،

Twitter: @ketab_n

كان المستنقع مليئاً بالسلاحف، وكان صيدها كافياً لتسديد كلفة تجفيف المستنقع. أزيلت الأشجار من حواف المستنقع وفي اليوم التالي لم يبقَ سوى حوض عميق فارغ، فقرّر هاياشي أن يحفر حتى قعر المستنقع.

في هذا الوقت، وصلت جدّة هاياشي، وهي امرأة عجوز في الثمانين من العمر، فقالت له:

«لست بحاجة إلى الحفر، سأخبرك ما تريد معرفته عن الشبح. فالآنسة سومي لم ترقد بسلام ومن الطبيعي أن يظهر شبحها. أنا آسفة جدًا فالغلطة غلطتي، والخطيئة خطيئتي. اسمعني وسأخبرك القصّة كاملةً».

وقف الجميع مندهشاً لسماع هذه الكلمات تخرج من فم الجدّة، وقد شعروا أن سرًّا كبيراً سيُكشَف.

قالت العجوز: «عندما كان جدّك هاياشي هاياتو على قيد الحياة، كانت تعمل في منزلنا خادمةٌ فاتنة في السابعة عشرة من العمر اسمها الآنسة سومي. وقع جدّك في غرام هذه الفتاة وهي بدورها بادلته المشاعر نفسها. وقد كنتُ في ذلك الحين في الثلاثين من العمر، وشعرت بغيرة قاتلة إذ أنني لم أعد شابةً جميلة كما

Twitter: @ketab_n

في السابق. في أحد الأيام، خرج جدّك من المنزل، فاصطحبتُ سومي إلى المستنقع وصفعتها صفعةً قويّة، فرحنا نتعارك، وإذ بها تقع في الماء وتعلق بين الأعشاب. تركتها ظناً مني أن المياه قليلة العمق وأنها ستتمكّن من الخروج. لكنها غرقت وماتت. وعندما عاد جدّك وجدها ميتةً. لم تكن الشرطة بارعةً في هذا النوع من التحقيقات في ذلك الحين. دُفِنَت الفتاة إلا أن أحداً لم يسألني شيئاً وسرعان ما أصبحت تلك القصّة من الماضي. منذ أربعة عشر يوماً، كانت الذكرى الخمسين لهذه الحادثة المروّعة. قد يكون هذا السبب في ظهور شبح سومي ولا شكّ أن هذا شبحها وإلاّ لما عرفت ابنتك اسمها، فلابدّ من أن تكون سومي قد أخبرتها به عند ظهورها للمرة الأولى».

كانت العجوز ترتعش من الخوف وقد طلبت من الجميع الصلاة عند قبر الآنسة سومي. وبالفعل هذا ما حدث ومنذ ذلك الحين لم يظهر الشبح من جديد. فقال هاياشي: «صحيحٌ أنني ساموراي وأنني قد قرأت الكثير من الكتب، لكنني ما آمنتُ يوماً بوجود الأشباح، أمّا الآن فأنا أؤمن بوجودها».

Twitter: @ketab_n

شبح بينوكي

في مقاطعة إيدزومي جبل يدعى أوكي- ياما (أو أوجي ياما) وهو متصل بجبال مومارو ياما ولا أستطيع أن أؤكد أنني كتبت الاسم بطريقة صحيحة ويكفي أن أقول إن فوكوجا سي هو من أخبرني تلك القصة وترجمها السيد أندو مترجم اللغة اليابانية في قنصليتنا في كوب. وكلاهما قال إن اسم الجبل هو أوكي ياما وقالا إن في قمته منذ قديم الأزل يوجد ضريح لفودو - ميو - أو (اتشالا في اللغة السنسكرتية وتعني الراسخ وهو الإله الذي يجسد دائماً محاطاً بالنيران يجلس في قلبها دون شكوى ليقدم مثالاً للآخرين، ويحمل سيفاً في يد وحبلاً في اليد الأخرى كتحذير بأن العقاب ينتظر من لا يستطيع تحمل الصراعات الشاقة في الحياة بشرف).

وعلى قمة جبل أوكي ياما (وهو جبل شاهق الارتفاع) يوجد معبد فودو ولا يزال العديد من الحجاج يزورونه كل عام والجبل نفسه تغطيه الأشجار وهناك بعض الأنواع المتميزة من أشجار الصنوبر والكافور هناك.

Twitter: @ketab_n

منذ عدة أعوام خلال الأيام التي أتحدث عنها كان هناك القليل من الرهبان يعيشون في ذلك المعبد ومن بينهم رجل في منتصف العمر وهو نصف راهب ونصف خادم ويدعى يينوكي.

عاش يينوكي لمدة عشرين عاماً في المعبد وخلال تلك الفترة لم يرفع عينه قط وينظر إلى تمثال فودو الذي كان مكلفاً جزئياً بحراسته وكان موجوداً في مكان مغلق في الضريح ولم يشاهده أي شخص سوى كبير الرهبان.

وفي أحد الأيام غلب الفضول يينوكي وفي وقت مبكر من الصباح لم يكن باب الضريح مغلقاً تماماً.

ألقى يينوكي نظرة إلى الداخل ولكنه لم ير شيئا وعندما أوقد الأنوار مجدداً وجد أنه فقد بصره في عينه اليمنى التي نظر بها.

شعر يينوكي أن هذا هو عقابه الإلهي وأن الآلهة غاضبة منه لذلك صام مئة يوم في محاولة لتطهير نفسه.

ولكن يينوكي كان مخطئاً في طريقة تكريسه وتوبته ولم يرض الآلهة بل على العكس من ذلك قامت الآلهة بتحويله إلى تنجو (شيطان طويل الأنف يعيش في الجبال وهو المعلم العظيم لجوجيتسو).

Twitter: @ketab_n

ولكن ينوكي واصل تسمية نفسه راهباً (إيتشيجان هوشي) التي تعني الراهب الأعور لمدة عام ثم مات وقيل إن روحه انتقلت لشجرة رائعة في الجانب الشرقي من الجبل.

وبعد ذلك عندما صار البحارة يمرون في بحر تشينو (خليج أوساكا) ويواجهون عاصفة اعتادوا الصلاة للراهب الأعور لكي يساعدهم وإذا شاهدوا ضوءاً في قمة جبل أوكي ياما يكونون على ثقة من أنه بغض النظر عن مدى قسوة البحر فإن سفينتهم لن تغرق.

ومن الممكن القول إنه بعد وفاة الراهب الأعور أوليت أهمية أكبر لروحه وللشجرة التي حلت بها أكثر من المعبد نفسه وأطلق على الشجرة اسم مسكن الراهب الأعور ولم يجرؤ أي إنسان على الاقتراب منها بمن فيهم الحطابون الذين يعرفون الجبال جيداً، لقد كانت الشجرة محل رهبة وتبجيل.

وعند سفح جبل أوكي ياما كان ثمة قرية واحدة تبعد عن بقية القرى مسافة اثنين راي (خمسة أميال) وكان بها مئة وثلاثين منزلاً فقط.

وفي كل عام اعتاد القرويون الاحتفال بمهرجان «بون» بممارسة رقصة اسمها «بون أودوري» بعد انتهاء المهرجان،

Twitter: @ketab_n

ومثل غالبية الأشياء في اليابان كان مهرجان بون ورقصة بون أودوري على النقيض تماماً من بعضهما بعض.

كان مهرجان بون عبارة عن احتفال بأرواح الموتى الذين من المفترض أنهم يعودون للأرض لمدة ثلاثة أيام سنوياً لزيارة أضرحة أسرهم وهو ما يشبه عيد جميع القديسين (الهالوين) وهو على أي حال عيد ديني مهم.

أما رقصة بون أودوري فتتنوع وتختلف بشكل كبير من مقاطعة لأخرى وتقام عادة في القرى إذ لا تحصى رقصات فتيات الجيشا[1] الجميلات التي تقام في كيوتو وتعتبر نسخاً من تلك الرقصة.

ومن الممكن القول إنها رقصة للفتيان والفتيات وتستمر طوال الليل تقريباً في الأراضي الخضراء بالقرية وتستمر لمدة ثلاثة أو أربعة أيام وهناك العديد من الفرص لأشدّ أنواع الغزل خلال ذلك.

وتردد أن خلال تلك المدة لم يكن هناك أي مرافقات للفتيات ولذلك من الممكن القول إن حالة من الانفلات كانت تسود ذلك الاحتفال.

(1) هي المرأة التي كان ينحصر دورها في اليابان بالترفيه عن الرجال بالرقص والموسيقى وغيرها من الفنون ويجري تعليمها هذه الفنون منذ الصغر (م).

Twitter: @ketab_n

وحتى الآن تقضي الفتيات العذراوات الليل في الخارج كحبيبات بشكل مرتجل وعشوائي وفي القرية التي تدور بها أحداث القصة لا تتصرف الفتيات فقط بشكل خارج عن السيطرة وإنما العرائس أيضاً.

تردد أن القرية التي تقع عند سفح جبل أوكي ياما التي تبعد عن بقية القرى كانت سيئة السمعة أخلاقياً ولم تكن هناك حدود لما يمكن للفتاة أن تفعله أو لا تفعله خلال ليالي بون أودوري وكانت الأشياء تنتقل من سيء إلى أسوأ حتى الوقت الذي كتبت فيه عن الفوضى التي تسود خلال أيام المهرجان وفي النهاية تردد أنه بعد أحد مهرجانات بون وفي ليلة مقمرة جميلة من شهر أغسطس وعدت كيمي ابنة كوراهاشي يوزامون الجميلة التي تبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً حبيبها كوروسوك أنها ستقابله سراً تلك الأمسية وكانت في طريقها للقيام بذلك.

بعد أن مرت بآخر منزل في قريتها الجبلية مرت بغابة صغيرة كثيفة وعند طرفها وقف رجل اعتقدت كيمي في البداية أنه حبيبها ولما اقتربت منه اكتشفت أنه ليس كوروسوك ولكنه شاب آخر وسيم يبلغ من العمر زهاء ثلاثة وعشرين عاماً ولم يتحدث معها بل ظل على بعض المسافة منها وعندما تقدمت نحوه تراجع هو.

Twitter: @ketab_n

كان الشاب وسيماً جداً وشعرت كيمي بالحب نحوه وقالت لنفسها: «قلبي يخفق له، لماذا لا أتخلى عن كوروسوك؟ فهو لا يضاهي من حيث الوسامة هذا الشاب الذي أحببته بالفعل حتى قبل أن أتحدث معه، إنني أكره كوروسوك الآن بعد أن رأيت هذا الشاب».

وما إن قالت ذلك حتى لمحت الشاب يبتسم ويومئ برأسه ولأنها فتاة خبيثة وسيئة السلوك فقد تبعته ولم يرها أحد منذ ذلك الحين وشعرت أسرتها بقلق شديد ومر أسبوع من دون أن تعود كيمي.

بعد أيام قليلة كانت تامي ابنة كينساكو التي تبلغ من العمر ستة عشر عاماً وتواعد ابن عمدة القرية سراً في انتظار حبيبها في ساحة المعبد وكانت تقف وقتئذ عند التمثال الصخري ليجزودو (كشيتيجاربا السنسكريتية راعية النساء والأطفال).

وفجأة وقف بالقرب من تامي شاب وسيم عمره ثلاثة وعشرين عاماً وكما حدث مع الآنسة كيمي انبهرت تامي بوسامته لدرجة أنه عندما أخذ بيدها وسار معها لم تبذل أي جهد لمقاومته ثم اختفت هي أيضاً.

Twitter: @ketab_n

واختفت بهذه الطريقة تسع فتيات عاشقات من القرية الصغيرة وفي كل مكان على مسافة ثلاثين ميلاً بدأ الناس يتحدثون عن الأمر ويتساءلون وقالوا أشياء سيئة وفي قرية أوكي ياما نفسها قال كبار السن: «لابد من أن طيش شبابنا منذ مهرجان بون أودوري أثار غضب ينوكي سان وربما يكون هو نفسه من يظهر في هيئة هذا الشاب الوسيم ويجهز على بناتنا».

خلال أيام قليلة اتفقوا جميعاً على أن السبب في خسارتهم هو روح شجرة ينوكي وبمجرد أن بدأت تلك الفكرة في الانتشار قبع جميع القرويين في منازلهم ليلاً ونهاراً وأهملوا مزارعهم وتوقف قطع الأخشاب في الجبل وتوقف العمل في القرية تماماً.

انتشرت شائعة هذا الوضع وشعر سيد كيشيوادا بالقلق واستدعى سونوبي هاياما أشهر سياف في تلك المنطقة باليابان.

قال له: «يا سونوبي، أنت أشجع رجل عرفته وأفضل مقاتل وإنني أكلفك بالذهاب وفحص الشجرة التي تسكنها روح ينوكي ولابد من أن تتكتم الأمر ولا يمكنني أن أنصحك بما يجب أن تفعله وأمنحك تفويضاً كاملاً لحل لغز اختفاء الفتيات التسع».

Twitter: @ketab_n

قال سونوبي: «سيدي، سألبي طلبك بحياتي وسأحل اللغز أو أموت».

بعد تلك المقابلة ذهب سونوبي لمنزله وشرع في عملية تطهير حيث واظب على الصوم والاستحمام لمدة أسبوع ثم توجه إلى جبل أوكي ياما.

كان ذلك في شهر أكتوبر حيث اعتقد أن الأشياء تكون دائماً في أفضل حالاتها.

صعد سونوبي الجبل وتوجه أولاً للمعبد الذي وصله في الساعة الثالثة عصراً بعد تسلق صعب وهنا تلا صلواته أمام الإله فودو لمدة ساعة ونصف ثم بدأ في عبور القرية الصغيرة التي تؤدي لجبل أوكي ياما واتجه للشجرة التي تسكنها روح الراهب الأعور يينوكي.

كان الطريق طويلاً وشديد الانحدار ولم تكن به ممرات حيث كان أكثر الحطابين جرأة يتجنبون الجبل قدر الإمكان ولم يحلم أي منهم بالتوغل حتى موضع شجرة يينوكي.

لكن سونوبي كان محارباً شجاعاً عالي اللياقة وكانت الأشجار كثيفة وانتشر ضباب بارد وامتدت يد سونوبي مرة

Twitter: @ketab_n

أو مرتين إلى مقبض سيفه واعتقد أنه سمع صوت شخص ما قادماً من وسط الضباب ولكن لم يكن هناك أحد وبحلول الساعة الخامسة وصل سونوبي للشجرة وخاطبها قائلاً: «أيتها الشجرة المبجلة العتيقة التي قاومت العواصف لمدة قرون، يا من أصبحت مسكن روح ينوكي، إنه لشرف أن يحظى المرء بمسكن مهيب بهذا الشكل ولذلك لا يمكن أنه كان رجلاً سيئاً، أتيت إلى هنا مرسلاً من حاكم كيشيوادا لتعنيفه ولمعرفة كيفية تجسد روح ينوكي في هيئة شاب وسيم بغرض اختطاف بنات القرويين المساكين، يجب أن يتوقف ذلك وإلا سيتم قطعك باعتبارك مسكن روح ينوكي لكي تفر إلى مكان آخر في البلاد».

في تلك اللحظة هبت رياح دافئة في وجه سونوبي وظهرت سحب داكنة في الأفق وأظلمت الغابة وبدأ المطر ينهمر وسُمع دوي زلزال.

فجأة ظهر راهب عجوز على هيئة شبح مجعّد الوجه، نحيف الجسم، وشفاف ورطب ومخيف الشكل لكن سونوبي لم يشعر بأي خوف.

Twitter: @ketab_n

قال الشبح: «لقد أرسلك سيد كيشيوادا، إنني معجب بشجاعتك لقدومك إلى هنا، إن معظم الرجال جبناء وآثمين ويخافون من القدوم هنا حيث تسكن روحي وإنني أؤكد لك أنني لم أفعل أي شيء شرير إلا بهدف الخير، لقد تدهورت أخلاقيات القرية بشدة وحان وقت تلقينهم درساً. فقد تحدّت تقاليد القرية الآلهة، وظهرت بالفعل في هيئة شاب على أمل تحسين أخلاقيات هولاء الناس والارتقاء بها وأخذت تسع من أسوأهم وهن في حالة جيدة وندمن بشدة على آثامهن وسيقمن بإصلاح قريتهن، وكل يوم كنت ألقى عليهن موعظة وستجدهن في مينو توج أو القمة الثانية لذلك الجبل حيث أوثقتهن بالأشجار. اذهب إلى هناك وأطلق سراحهن وبعد ذلك اذهب إلى سيد كيشيوادا وأخبره بما فعلته روح ينوكي، الراهب الأعور المستعدة دائما لمساعدته في تحسين حياة رعيته، وداعاً».

واختفت الروح بمجرد أن نطقت بآخر كلمة وشعر سونوبي بالذهول نوعاً ما بسبب ما قالته الروح ولكنه توجه إلى مينو توج وهناك وجد الفتيات التسع وكانت كل واحدة منهن مربوطة بشجرة كما قالت الروح. وقام بقطع قيودهن وألقى عليهن موعظة وأعادهن إلى القرية وأبلغ سيد كيشيوادا بما حدث.

Twitter: @ketab_n

ومنذ ذلك الحين أصبح الناس أكثر خوفاً من روح الراهب الأعور وأصبحوا صالحين تماماً وبذلك ضربوا مثالاً للقرى المحيطة.

وساهمت أسر الفتيات التسع سيئات السلوك، سنوياً في الأرز الذي يأكله رهبان معبد فودو ميو أو وأطلق عليه اسم أرز أسر أوكي التسع.

Twitter: @ketab_n

شبح زنبقة اللوتس

أمضيت ردحاً من الزمن أبحث عن قصة تدور حول زنبقة اللوتس وأخيراً وجد صديقي فوكوجا قصة ترجع إلى مئتي عام تقريباً. وتدور القصة حول قلعة كانت موجودة وقتئذ فيما يعرف بكيناي والآن تقع في منطقة كيوتو. وهي على الأرجح تشير لواحدة من القلاع الموجودة في ذلك الحي على الرغم من أنني أعرف واحدة فقط هي قلعة نيجو.

قال فوكوجا (الذي لا يتحدث الإنجليزية) ويعد بمثابة المترجم الخاص بي، إنه من الصعب أن أقول إن القصة لا تتصل في الحقيقة بقلعة في مقاطعة إيدزومي لأنه بعد البدء في كيوتو أحضروني فجأة إلى إيدزومي وأصبح البطل هو لورد كورياما. على كل حال أخبروني أن الأمر بدأ بتفشي مرض ما في كيناي (كيوتو) ومات آلاف الأشخاص بسببه وامتد المرض حتى وصل إيدزومي حيث كان يعيش السيد الإقطاعي كورياما الذي أصابه المرض أيضاً.

Twitter: @ketab_n

استدعي الأطباء من شتى البقاع ولكن دون جدوى. وانتشر المرض وأصاب الفزع الجميع ولم يصب السيد وحده ولكن أيضاً زوجته وابنه. سادت حالة من الذعر البلاد ولم يخش الناس على أنفسهم فقط وإنما أيضاً خشوا فقدان حاكمهم وزوجته وابنه حيث كان كورياما محبوباً بشدة. وتوافد الناس على القلعة وخيموا حول أسوارها العالية وفي خنادقها الفارغة التي كانت جافة ولم تكن هناك أي حروب لفترة من الوقت.

وفي أحد الأيـام، خلال مرض الأسرة العظيمة كان تادا سامون، أعلى مسؤول في القلعة (بعد السيد كورياما نفسه) جالساً في غرفته ويفكر ما هو أفضل ما يمكن فعله بشأن الأمور العديدة المعلقة انتظاراً لشفاء السيد، وخلال انشغاله بذلك أعلن أحد الخدم أن هناك زائراً عند البوابة الخارجية يطلب الإذن لمقابلته ويقول إنه يعتقد أن بإمكانه شفاء المرضى الثلاثة.

ووافق تادا سامون على مقابلة الزائر الذي ذهب الخادم لإحضاره.

وتبين أن الزائر كما بدا من مظهره يامابوشي (ناسك يعيش في الجبال) وبمجرد دخوله الغرفة انحنى لسامون وقال: «سيدي إنه عمل شرير، أعني ذلك المرض الذي أصاب سيدنا وحاكمنا

Twitter: @ketab_n

والسبب فيه روح شريرة دخلت القلعة لأنكم لم تضعوا أي دفاعات ضد الأرواح الشريرة وغير الطاهرة، إن القلعة هي مركز إدارة الدولة بأسرها ولم يكن من الحكمة تركها غير محصنة بهذا الشكل ضد الأرواح الشريرة وغير الطاهرة، لطالما أخبرنا القديسون قديماً أن نزرع زنبقة للوتس ليس فقط في الأخدود الداخلي الذي يحيط بالقلعة بل أيضاً في كلا الأخدودين وفي كل الأماكن الممكنة وإضافة إلى ذلك أن نقوم بزراعتها حول جميع الأخاديد.

ومن المؤكد يا سيدي أنك تعلم أن زهرة اللوتس التي تعد أهم زهرة رمزية في ديننا هي الأكثر نقاء وقداسة ولذلك فإنها تبقي الدنس بعيداً لأنه لا يستطيع أن يمر عبرها، وتأكد يا سيدي أنه لو أن سيدك لم يتجاهل الأخاديد الشمالية في قلعته واستمر في ملأها بالماء النقي وزرعها بزهور اللوتس المقدسة فما كانت مثل تلك الروح الشريرة المرسلة من السماء لإنذاركم تمكنت من الدخول، وإذا سمحتم لي سأدخل القلعة اليوم وأصلي لكي تغادر روح المرض الشريرة وأطلب الأذن لزراعة زهور اللوتس في الأخاديد الشمالية وتلك هي الطريقة الوحيدة لإنقاذ سيد كورياما وأسرته».

Twitter: @ketab_n

أحنى سامون رأسه موافقاً وتذكر أن الأخاديد الشمالية لا يوجد بها لوتس ولا ماء وكان هذا خطأه جزئياً حيث كان يعتبر هذا نوعاً من الاقتصاد المتصل بالممتلكات. وذهب لمقابلة سيده الذي اشتد به المرض واستدعى مسؤولي البلاط واتفقوا على أن يقوم الناسك بتجربة طريقته وأخبروه أن ينفذ فكرته بأفضل طريقة ممكنة وكانت هناك وفرة من الأموال ومئات الأيادي المستعدة لمساعدته وفعل أي شيء ممكن لإنقاذ السيد.

اغتسل الناسك وصلى لكي ترحل روح المرض الشريرة بعيداً عن القلعة ثم أشرف على تطهير الأخاديد الشمالية وإصلاحها وأمر الناس بملئها بالماء وزرع اللوتس ثم اختفى بشكل غامض أمام أعين الناظرين.

وعلى الرغم من دهشتهم شعر الرجال بحماسة أكبر من ذي قبل وشرعوا في تنفيذ أوامره وخلال أقل من أربع وعشرين ساعة أصبحت الأخاديد نظيفة سليمة ممتلئة بالماء ومزروعة بزهور اللوتس.

وكما كان متوقعاً تحسنت صحة السيد كورياما وزوجته وابنه بسرعة وخلال أسبوع واحد تحسنت صحتهم بدرجة أكبر وخلال أسبوعين تعافوا كلياً.

Twitter: @ketab_n

أقيمت صلاة للشكر وعمت البهجة أنحاء إيدزومي وفي وقت لاحق توافد الناس لرؤية الأخاديد وزهور اللوتس التي تحظى بعناية بالغة وبلغ الأمر بالقرويين أن أطلقوا اسماً على القلعة من تلقاء أنفسهم فأسموها قلعة اللوتس.

مرت أعوام لم يحدث خلالها شيء غريب ومات السيد كورياما لأسباب طبيعية وخلفه ابنه في الحكم ولكنه أهمل زهور اللوتس. وفي يوم ما مر ساموراي شاب بأحد الأخاديد وكان ذلك في نهاية شهر أغسطس عندما تكون أزهار اللوتس قوية مزهرة، وشعر المحارب بالحزن عندما شاهد صبيين جميلين في السادسة أو السابعة من العمر تقريباً يلعبان عند حافة الأخدود.

وصاح بهما: «أيها الولدان، ليس من المأمون أن تلعبا بالقرب من حافة الأخدود تعاليا معي».

كان على وشك الأخذ بيديهما وإرشادهما لمكان آمن عندما قفزا في الهواء بعيداً وابتسما له ثم سقطا في الماء واختفيا بعد أن أحدثا طرطشة كبيرة في المياه غطته بالرذاذ.

Twitter: @ketab_n

شعر المحارب بدهشة شديدة ولم يعرف ما الذي حدث إذ لم يظهرا مجدداً على سطح الماء وكان متأكداً أنهما على الأرجح كاباس أو مخلوقين أسطوريين وبتلك الفكرة في ذهنه جرى للقلعة وأبلغهم بما حدث.

وعقد كبار المسؤولين اجتماعاً وقررا إفراغ الأخاديد وتنظيفها وشعروا أن هذا ما كان لابد من القيام به عندما خلف السيد الشاب والده.

وبهذا أفرغت الأخاديد من الماء بالكامل ولكن لم يتم العثور على أي كابا واعتقدوا أن الأمر لا يزيد عن كونه تخيلات من جانب الساموراي ولذلك سخروا منه.

وبعد عدة أسابيع كان ساموراي آخر يدعى موراتا إيباي في طريق العودة مساءً بعد زيارة حبيبته وكان طريقه يمر بالأخدود الخارجي وكانت زهور اللوتس المزهرة رائعة الشكل وأبطأ إيباي في سيره وشعر بالإعجاب الشديد تجاهها وهو يفكر في حبيبته وفجأة لمح مجموعة من الأطفال الصغار شكلهم جميل يزيد عددهم على العشرة بالقرب من حافة المياه وكانوا عراة يرشون بعضهم بعض بالماء.

Twitter: @ketab_n

وقال المحارب لنفسه: «لابد من أن هؤلاء هم الكاباس الذين أخبرونا عنهم من قبل وفكروا أنهم من الممكن أن يخدعوني إذا اتخذوا هيئة البشر، ولكن المحارب لا يخاف من مثل تلك الأشياء ولابد من أنه سيكون من الصعب عليهم الفرار من سيفي الحاد».

وخلع إيباي خفه وجذب سيفه وتسلل حتى يقترب مما ظن أنها كاباس(مخلوقات أسطورية) واقترب حتى أصبح على مسافة عشرين ياردة منها وظل مختبئاً خلف شجيرة يراقب الموقف.

واصل الأطفال لعبهم وبدوا أطفالاً طبيعيين تماماً فيما عدا أنهم جميعاً كانوا في غاية الجمال وتنبعث منهم رائحة غير مألوفة وقوية لكنها كانت جميلة وتشبه رائحة زنبقة اللوتس.

وشعر إيباي بالحيرة وكاد أن يغمد سيفه بعد أن رأى مدى براءة ووداعة الأطفال لكنه اعتقد انه إذا غير رأيه فسيتعارض ذلك مع تصميم المحارب ولذلك أحكم قبضته على مقبض سيفه بعد أن شحذ شجاعته وقفز من مخبأه وبدأ يلوح بسيفه يميناً ويساراً بين من ظنهم كاباس.

Twitter: @ketab_n

كان إيباي مقتنعاً أنه أوقع الكثير من القتلى فقد شعر بسيفه وهو يضرب الأجساد مراراً وسمع الصوت المكتوم للأجساد وهي تسقط ولكنه عندما نظر ليرى قتلاه فوجئ بتصاعد أبخرة بجميع الألوان أغشت بصره ببريقها وسقطت حوله في هيئة رذاذ مائي.

وقرر إيباي أن يتريّث حتى الصباح لأنه لم يتمكن بصفته محارب أن يترك تلك المغامرة معلقة من دون نهاية ولم يكن يرغب في أن يحكيها لأصدقائه من دون أن يرى نهايتها بوضوح.

وكان الانتظار طويلاً موحشاً ولكن إيباي لم يغمض له جفن طوال الليل.

وعندما بزغ النهار لم يجد شيئاً سوى سيقان زهور زنبق اللوتس طافية على سطح الماء بالقرب منه.

وقال لنفسه ولكن سيفي أصاب ما هو أكثر من سيقان اللوتس وإذا لم أكن قتلت الكاباس الذين شاهدتهم بنفسي متجسدين في هيئة البشر فلابد من أنها كانت أرواح اللوتس، يا لها من خطيئة فظيعة تلك التي ارتكبتها! لقد أنقذت أرواح اللوتس سيدنا كورياما وأسرته من الموت، يا للحسرة! ما الذي

Twitter: @ketab_n

فعلته أنا الساموراي الذي تنتمي كل قطرة دم به لسيده؟ لقد أشهرت سيفي في وجه أشد الأصدقاء إخلاصاً لسيدي، لابد من أن أسترضي الأرواح بأن أشق بطني».

وتلا إيباي صلاة ثم جلس على صخرة بجانب زهور اللوتس المتناثرة وانتحر بطعن بطنه بالسيف.

وواصلت زهور اللوتس تفتحها ولكن لم تشاهد المزيد من أرواح اللوتس منذ ذلك الحين.

Twitter: @ketab_n

معبد الأوابي

في مقاطعة نوتو قرية صغيرة للصيادين تحمل اسم ناناو وتقع في أقصى شمال البر الرئيسي ولا يوجد شيء في مقابلها حتى يصل المرء إلى كوريا أو سيبيريا باستثناء جزر صخرية صغيرة تنتشر في كل مكان في اليابان ومحاطة في موقعها بشريط خارجي هو أرض اليابان نفسها.

ولا يتجاوز عدد سكان ناناو خمسمئة نسمة ومنذ سنوات مضت تعرضت القرية للدمار بسبب زلزال وعاصفة عنيفة دمر كلاهما القرية بأكملها تقريباً ونصف عدد السكان.

وفي الصباح الذي تلا تلك الظواهر الطبيعية الرهيبة تبين أن الوضع الجغرافي تغيّر وفي قبالة ناناو على بعد ميلين تقريباً من الأرض ظهرت جزيرة صخرية يبلغ قطرها زهاء ميل.

Twitter: @ketab_n

كانت مياه البحر عكرة صفراء اللون وكان السكان الذين ظلوا على قيد الحياة في حالة صدمة وخوف لدرجة أنه لم يجرؤ أحد على الخروج في قارب لمدة شهر تقريباً بعد الكارثة، إضافة إلى أن معظم القوارب تحطمت.

وكعادة اليابانيين نظر السكان للأمر نظرة فلسفية وساعدوا بعضهم بعض وخلال شهر واحد استعادت القرية إلى حد ما شكلها السابق، وعلى الرغم من أنها كانت أصغر وبها سكان أقل لكنها أثبتت قدرتها على إدارة شؤون نفسها من دون الحصول على مساعدة من العالم الخارجي.

وبالفعل عانت القرى المجاورة المعاناة نفسها وباتباع أسلوب النمل نجحوا في إعادة الأمور لنصابها الصحيح مجدداً.

وقرر الصيادون في ناناو أن تكون رحلة الصيد الأولى لهم جماعية وقبل يومين من مهرجان بون ذهبوا أولاً لتفقد الجزيرة الجديدة ثم واصلوا طريقهم في البحر لعدة أميال ليكتشفوا أن هناك وفرة من الأسماك في أرضهم الحبيبة كما اعتادوا من قبل.

Twitter: @ketab_n

ثم قررت جميع القرى التي تبعد زهاء خمسين ميلاً المحاولة بدورها وحاولت كل قرية في أرضها الخاصة بالطبع ولكنها جميعاً بدأت في الوقت عينه على أن تخبر كل قرية الأخرى بالوضع فيما يتعلق بوفرة الأسماك حيث تعد المساعدة المتبادلة عند مواجهة المحن صفة مميزة لليابانيين.

وفي الوقت المحدد قبل يومين من موعد المهرجان بدأ الصيادون من قرية ناناو وكان لديهم ثلاثة عشر قارباً وقاموا أولاً بزيارة الجزيرة الجديدة التي تبين أنها عبارة عن صخرة ضخمة وكان هناك العديد من أسماك الصخور مثل أسماك الراس وغيرها ولكن لم يكن هناك ما يثير الاهتمام سوى ذلك.

ولم تكن الجزيرة قد تكونت منذ فترة طويلة لذلك لم يكن على سطحها أي محار كما كان يوجد القليل من الأعشاب البحرية القابلة للأكل ولذلك توغلت القوارب في البحر لاكتشاف ما الذي حدث لمناطق الصيد القديمة الممتازة التي كانت لديهم.

وعلى الرغم من أن تلك المناطق كانت تنتج الإنتاج نفسه المعتاد في الأيام التي سبقت الزلزال فان الصيادين لم يتمكنوا

Twitter: @ketab_n

من البقاء لفترة أطول للقيام باختبار شامل وكانوا يعتزمون البقاء طول الليل ولكن عند الغسق ظهرت في السماء علامات هبوب عاصفة لذلك قاموا برفع المراسي وشرعوا في العودة.

وبمجرد اقترابهم من الجزيرة الجديدة شعروا بدهشة شديدة إذ شاهدوا في أحد جوانبها المياه على مساحة مئتي وأربعين قدم مربع مضاءة بضوء غريب وبدا الضوء منبعثاً من قاع البحر وعلى الرغم من الظلام كانت المياه شفافة.

استولت الدهشة على الصيادين وتوقفوا للنظر في أعماق المياه الزرقاء وشاهدوا السمك يسبح بالآلاف ولكن كانت المياه عميقة للغاية فلم يتمكنوا من رؤية القاع بيد أنهم أطلقوا عنان تفكيرهم لكافة أنواع الأفكار الخرافية باعتبار أنها سبب الضوء وتناقلوا الكلام من قارب لآخر وبعد دقائق قليلة أوقفوا مجاذيف القوارب وساد الهدوء ثم سمعوا ضوضاء عالية قادمة من قاع البحر وركزوا جميعاً بشدة وخافوا من حدوث زلزال آخر.

ثم تحركت المجاذيف مجدداً وأبحروا بسرعة قاطعين مسافة الميلين من الجزيرة إلى البر الرئيسي ووصلوا لمنازلهم قبل هبوب العاصفة التي استمرت يومين ولم يتمكن الصيادون من مغادرة الشاطئ.

Twitter: @ketab_n

وبعد أن هدأ البحر خرج القرويون لتفقد الوضع وفي اليوم الثالث حدث ما أثار دهشتهم حين لمحوا أشعة تخرج من البحر بالقرب من الجزيرة الصخرية تبدو قادمة من شمس تحت سطح البحر وتجمعت القرية بأكملها على الشاطئ لمشاهدة الظاهرة الغريبة التي ناقشوها خلال الليل ولم يتمكن أي شخص حتى الراهب العجوز أن يلقي أي ضوء على الموضوع.

وتزايد خوف الصيادين وباتت قلة منهم مستعدة للخروج إلى البحر في اليوم التالي وعلى الرغم من أنه موسم سمك ساوارا الرائع (الإسقمري) فلم يخرج سوى قارب واحد للبحر وهو قارب المعلم كانسوك ذلك الصياد البالغ من العمر خمسين عاماً والذي كان وولده البار ماتاكيشي وهو شاب في الثامنة عشرة في الصدارة دائماً عندما تدعو الحاجة للقيام بشيء خارج عن المألوف.

وكان كانسوك مشهوراً بأنه أجرأ صياد في ناناو كما يتذكر معظمهم وتبعه ولده البار والمخلص منذ كان في الثانية عشرة من عمره وخاض معه العديد من الأخطار ولذلك لم يكن من المستغرب رؤية قاربهما يغادر الشاطئ منفرداً.

وذهبا أولاً لأماكن سمك المرجان أو سمك تاي وقاما بالصيد خلال الليل وقاموا بصيد ثلاثين سمكة مرجان غريبة تزن

Twitter: @ketab_n

الواحدة منها أربعة أرطال تقريباً ومع بدء بزوغ الفجر لاحت عاصفة أخرى في الأفق.

ورفع كانسوك مرساة قاربه وبدأ طريق العودة على أمل أن يقوم برفع خيط صيد كان قد ألقاه عن متن القارب بالقرب من الجزيرة الصخرية في طريقه للبحر الواسع وهو الخيط الذي يحتوي على مئتي خطاف صيد تقريباً.

ووصلوا للجزيرة وكانوا قد جذبوا الخيط بأكمله تقريباً عندما تسبب البحر العالي في فقدان كانسوك توازنه وسقوطه عن القارب.

وعادة كان الشيخ يعود بسهولة إلى القارب ولكن تلك المرة لم يظهر رأسه فوق المياه ولذلك قفز الابن لإنقاذ والده وغاص في المياه وما أدهشه بشدة أن الأشعة البراقة كانت تسطع عبرها.

ولم يلمح والده بيد أنه شعر أنه لا يستطيع أن يتركه ونظراً لأن الأشعة الغامضة المنبعثة من القاع من الممكن أن تكون لها علاقة بالحادث فقد فكر أنها ربما تكون انعكاسات عين وحش ما.

Twitter: @ketab_n

غاص ماتاكيشي لمسافة عميقة وظل بضعة دقائق تحت الماء وفي النهاية وصل إلى القاع وهناك عثر على مستعمرة ضخمة من الأوابي (المحار).

وكان يغطي مساحة مئتي قدم مربعة وفي منتصف ذلك كله محارة ضخمة لم يرَ مثلها من قبل.

وكانت تحتوي على ثقوب من أعلى يمر عبرها سمك الإنقليس مما يسبب الأشعة التي أنارت البحر وهي الأشعة التي قال عنها الغواصون اليابانيون إنها تدل على وجود لؤلؤة وفكر ماتاكيشي أن اللؤلؤة الموجودة داخل المحارة ضخمة الحجم، بحجم رأس طفل تقريباً.

وشاهد ماتاكيشي الأضواء تأتي من محارات أوابي الموجودة في المنطقة وهو ما يشير لاحتوائها جميعاً على اللؤلؤ ولكن أينما نظر لم يجد أثراً لوالده واعتقد أنه غرق وفي حالة حدوث ذلك فإن أفضل ما يمكن فعله هو الصعود إلى السطح والعودة للقرية للإبلاغ عن وفاة والده وأيضاً عن اكتشافه المدهش الذي قد تكون له قيمة كبيرة لسكان ناناو.

Twitter: @ketab_n

وبعد وصوله إلى السطح بصعوبة شعر بالفزع لاكتشاف أن القارب تحطم في البحر المرتفع ولكنه كان محظوظاً إذ لمح قطعة طافية من الحطام تعلق بها وساعده البحر والرياح، خاصة أنه سباح ماهر، وخلال أقل من نصف ساعة وصل إلى الشاطئ وروى للقرويين ما جرى معه من اكتشافاته وفقده لوالده الغالي.

وصدق الصيادون بصعوبة أن ما ظنوا أنها أضواء خارقة للطبيعة ناتجة عن المحار نظراً لأن المحار عالي القيمة كان نادر الوجود بشدة في تلك المنطقة، ولكن ماتاكيشي شاب جدير بالثقة حتى إن معظم المتشككين صدقوه في نهاية الأمر ولولا نبأ وفاة كانسوك لكانت القرية كلها احتفلت في تلك الأمسية.

وبعد أن أبلغ القرويون توجه ماتاكيشي لمنزل الراهب العجوز في نهاية القرية وأخبره بما حدث.

وقال له: «والآن بعد وفاة أبي الحبيب أرجوك أن تجعلني من أتباعك لكي أتمكن من الصلاة يومياً لروح أبي».

وافق الراهب على رغبة ماتاكيشي وقال: «إضافة إلى سعادتي

Twitter: @ketab_n

بالحصول على تابع شجاع ومخلص مثلك فإنني أيضاً سأصلي لروح والدك وفي اليوم الأول والعشرين بعد وفاته سنأخذ القوارب ونذهب للصلاة في الموضع الذي غرق فيه».

ولذلك في صباح اليوم الحادي والعشرين بعد غرق كانسوك المسكين توجه ابنه والراهب إلى المكان الذي فقد فيه وقاما بتلاوة الصلوات على روحه.

وفي تلك الليلة استيقظ الراهب في منتصف الليل وشعر بتوعك وفكر كثيراً في الشؤون الروحية لرعيته.

وفجأة لمح عجوزاً يقف عند رأس أريكته وقد انحنى بأدب وقال: «أنا روح المحارة العملاقة التي ترقد في قاع البحر بالقرب من الجزيرة الصخرية وأبلغ من العمر سنوات طويلة ومنذ أيام مضت سقط صياد من قاربه في البحر وقتلته وأكلته وهذا الصباح سمعت قداستك تتلو صلاة مع ابن الرجل الذي أكلته فوق المكان الذي أرقد فيه وأشعرتني صلاتك المقدسة بالحزي من نفسي وشعرت بالأسف لما فعلت وكنوع من التعويض أمرت أتباعي بأن يتفرقوا وقررت قتل نفسي وسيتم منح اللؤلؤ الموجود في محارتي إلى ماتاكيشي ابن الرجل الذي أكلته وكل ما أطلبه منك أن تصلي من أجل روحي، وداعاً».

Twitter: @ketab_n

واختفى شبح المحارة بعد أن قال ذلك وفي وقت مبكر من الصباح التالي عندما فتح ماتاكشي باب منزله ليكنس التراب أمام الباب وجد هناك ما اعتقد في البداية أنه صخرة كبيرة مغطاة بأعشاب بحرية وبها مرجان وردي ولكن عندما أمعن النظر اكتشف أنها المحارة العملاقة التي شاهدها في قاع البحر بالقرب من الجزيرة الصخرية وهرع إلى المعبد ليخبر الراهب الذي أخبر ماتاكيشي بالزيارة التي تلقاها خلال الليل.

وحملت المحارة والجسد الذي تحتويه بداخلها إلى المعبد باحترام شديد ووسط احتفال كبير وتليت الصلاة عليها وعلى الرغم من وضع المحارة واللؤلؤة الضخمة داخل المعبد فقد دفن الجسد في مقبرة بجوار مقبرة كانسوك وشيد صرح فوقها وآخر فوق مقبرة كانسوك وغير ماتاكيشي اسمه إلى نيتشيجي وعاش سعيداً.

ولم تشاهد أي محارات في ناناو منذ ذلك الحين ولكن الجزيرة الصخرية أصبحت ضريحاً لروح المحارة.

ملحوظة: قام صياد ببيع محارة قيمتها ثلاثة آلاف ين مقابل اثني عشر سنتا للغرب وكان مصدرها معبد ينتمي الآن إلى ميكوموتو وحجمها يماثل حجم المحارة المذكورة.

Twitter: @ketab_n

اليراع البشرية

في قرية فوناكامي في مقاطعة أومي، عاش فلاحٌ طاعن في السن يدعى كانشيرو. وكان صادقاً طيباً تقياً لا مثيل له حتى بين الكهنة. وقد اعتاد أن يذهب في كل سنة في رحلة حجّ إلى مناطق عدّة من البلاد ليصلّي ويقوم بواجبه تجاه الآلهة، من دون أخذ تقدّمه في السنّ أو عجزه في عين الاعتبار. لم يكن كانشيرو قويّ البنية، ودائماً ما عانى من الإسهال في الأيام الحارة، لذا فقد دأب على القيام برحلات الحج في الأيام الباردة.

في السنة الثامنة من عصر كوانساي، شعر كانشيرو أنها ستكون السنة الأخيرة من عمره، ولم يُرِد تفويت رحلة الحجّ إلى المزارات الرائعة في مقاطعة آيز، فقرّر المخاطرة والذهاب في أغسطس وهو أكثر الأشهر قيظاً.

تبرّع سكان قرية فوناكامي بمئة ين للرجل الوقور ليأخذها ويقدّمها للمزارات.

Twitter: @ketab_n

وذات يوم، انطلق كانشيرو في رحلة الحجّ وحده حاملاً المال في حقيبة معلّقة بعنقه. وسار يومين من الفجر إلى الغروب، وفي اليوم الثالث، بلغت الحرارة أشدّها، حين وصل إلى قرية ميوجو منهكاً وقد بدأ يعاني عوارض الإسهال.

شعر كانشيرو أنه عاجزٌ عن إكمال رحلته، خاصةً أنه يعتبر نفسه في حالة بعيدة عن النظافة، لا تخوّله حمل المال الشريف الذي ائتمنه عليه أصدقاؤه في فوناكامي. فما كان منه إلا أن توجّه إلى أرخص نزل وائتمن صاحبه على قصّته والمئة ين، وقال له: «يا سيدي، أنا رجلٌ هرم مُصاب بالإسهال. إن اعتنيت بي يوماً أو يومين فستتحسّن حالتي، وإلى ذلك الحين احتفظ بهذا المال الشريف، فأنا لا أريد أن أدنّسه بالاحتفاظ به وأنا في هذه الحالة».

انحنى جيمباشي، صاحب النزل، ووعد كانشيرو بتحقيق مطلبه.

وقال له: «لا تقلق، سأضع المال والحقيبة في مكان آمن، وسأعتني بك بنفسي إلى أن تتحسّن حالك، إذ يندر الرجال الصالحون أمثالك».

Twitter: @ketab_n

عانى الشيخ المسكين من المرض أياماً خمسة، إلا أن شجاعته لم تُقهَر وفي اليوم السادس قرّر الانطلاق مجدداً.

كان الطقس جميلاً. سدّد كانشيرو ثمن الفاتورة، وشكر صاحب النزل على لطفه، ثم أخذ حقيبة المال منه، من دون أن ينظر فيها نظراً لوجود العمّال والسيّاح من حوله، فلم يكن يريد أن يرى هؤلاء الغرباء ما في الحقيبة. وبدلاً من تعليقها حول عنقه، وضعها في حقيبة ملابسه وطعامه وانطلق في رحلته.

عند الظهر تقريباً، توقف كانشيرو تحت شجرة صنوبر ليرتاح ويأكل الأرزّ البارد. فتح كانشيرو حقيبة المال فلم يجد المئة ين بل وجد مكانها حجارة يوازي وزنها وزن المال. ارتبك المسكين، ولم يكمل طعامه، بل عاد على الفور إلى النزل الذي بلغه مع حلول الظلام، فشرح ما حصل مع جيمباشي، صاحب النزل.

في البداية، شعر المسؤول بالشفقة لسماع قصّة الشيخ، لكن عندما رجاه كانشيرو إعادة المال له، انفجر غاضباً. وقال: «أيها الشيخ النذل، لقد اختلقت هذه القصّة لتبتزّني! سألقّنك درساً لن تنساه. ثم ضربه على صدره واستلّ عصاً ضربه بها من دون رحمة، وانضمّ إليه العمّال ينهالون بالضرب عليه حتى أصبح على شفير الموت.

Twitter: @ketab_n

يا للشيخ المسكين! ما عساه يفعل؟ لم يكن بوسعه سوى الزحف بعيداً نصف ميت، لكنه وصل بعد ثلاثة أيام إلى المزارات المقدّسة في مقاطعة آيز، فتلا صلواته ثم انطق عائداً إلى فوناكامي. وصل إلى قريته سقيماً، وأخبر السكان بقصّته. فصدق بعضهم كلامه ولم يصدقه بعضهم الآخر. فاغتمّ أشدّ الغم، وما كان منه إلا أن باع ملكيته الصغيرة ليعيد المال إلى السكان، ويكمل رحلات الحجّ إلى المعابد والمزارات بما سيتبقى له من مال. ومع أنه لم يعد يملك من المال ما ينفقه على نفسه فإن ذلك لم يمنعه من الاستمرار في الحجّ متسولاً الطعام في كلّ مكان يقصده.

بعد ثلاث سنوات، زار الشيخ قرية ميوجو مجدداً وهو في طريقه إلى آيز، وعلم أن عدوّه قد حصل على مبلغ كبير من المال وأنه يعيش في منزل فخم. فما كان من كانشيرو إلا أن قصده وقال له: «منذ ثلاث سنوات سرقت مالاً ائتُمنتُ عليه، فبعتُ ملكيّتي لأعيد للناس المال الذي أعطوني إياه لآخذه إلى مزارات مقاطعة آيز. ومنذ ذلك الحين وأنا أتسوّل وأشحذ. لا تعتقدنّ أنني لن أنتقم منك، لأنني سأنتقم أشدّ انتقام، فأنت شاب وأنا هرم، وسيطاولك انتقامي قريباً».

Twitter: @ketab_n

بقي جيمباشي ينكر التّهمة الموجّهة إليه وعندما بدأ الغضب يملأ قلبه قال: «أيها الشيخ الوغد، إن كنت تريد وجبة أرزّ فقل ذلك، لكن إياك أن تهدّدني».

في هذا الوقت، جاء الحارس وعامل كانشيرو معاملة الشحّاذ فأمسك بذراعه وجرّه حتى طرف القرية، محذراً إياه من العودة ثانيةً وإلا اعتقله، فغضب الشيخ المسكين غضباً أودى بحياته.

أخذ كاهنٌ طيبٌ من معبد مجاور جثّة المسكين ودفنها وتلا عليها الصلوات.

في ذلك الوقت، كان الإحساس بالذنب يعذّب جيمباشي فمرض وساءت حاله لدرجة لم يتمكّن من مغادرة فراشه. وعندما فقد القدرة على الحراك، حصل أمرٌ غريب، فقد طارت الآلاف والآلاف من اليراع من قبر كانشيرو وتوجّهت إلى غرفة جيمباشي، اخترقت الستائر المخصّصة لمنع دخول الحشرات وملأت الغرفة وأعمت بوميضها عينَيْ جيمباشي الذي لم يقوَ على الحراك.

أتى أهل القرية وحاولوا قتل اليراع لكن من دون جدوى فلم يتوقّف سرب اليراع عن التدفّق من قبر كانشيرو، ولم يقصد مكاناً سوى غرفة جيمباشي ليحيط بسريره.

Twitter: @ketab_n

عند رؤية ذلك، قال أحد سكّان القرية: «لا شكّ أن جيمباشي سرق المال من ذلك الشيخ، وأن سرب اليراع هذا ما هو إلا انتقام روحه».

فخشي الجميع بعد ذلك قتل اليراع، الذي بقي يتدفّق أسراباً حتى قضى على جيمباشي، فقد دخل فمه وأنفه وأذنيه وعينيه. بقي جيمباشي يصرخ ويتألّم عشرين يوماً قبل أن يلقى حتفه، وعندما مات اختفى اليراع تماماً.

Twitter: @ketab_n

ناسك الأقحوان

منذ سنوات بعيدة، عاش أسفل جبال نامبو، في أداشي، في مقاطعة سايتاما، شيخ يدعى كيكو أي رجل الأقحوان.

كان كيكو خادماً مخلصاً في تسوغارو، وقد عرف باسم ساوادا هاياتو. وكان قوي البنية، حسن المظهر، وكان أحد رجال القوّة المحاربة المكلّفة حماية السيد الإقطاعي والقلعة والممتلكات.

وذات يوم مشؤوم، أُلحِقَت بالقوّة الحامية للسيد الإقطاعي هزيمة نكراء واستولى الأعداء على القلعة والممتلكات. فهرب السيد مع خادمه المخلص ومن بقي من الرجال إلى الجبال، وكانوا يفكّرون أنه سيأتي يومٌ وينتقمون.

في خلال هذه الفترة، قرّر كيكو – وهو يعلم أن سيده يحبّ الأزهار (لا سيما الأقحوان) – تكريس وقت فراغه لزرع مساكب الأقحوان، ظناً منه أن ذلك سيخفّف من ألم الهزيمة والنفي.

Twitter: @ketab_n

سُرَّ السيد أيما سرور، إلا أن أحزانه وهمومه لم تزُل، فمرض ومات فقيراً تاركاً الحزن في قلب كيكو ورجاله الآخرين. كان كيكو يبكي ليل نهار على قبر سيّده، غير أنه قرّر أن يشغل نفسه عن البكاء بإفراح روح سيّده، فما كان منه إلاّ أن أحاط القبر بالأقحوان. وراح يروي الأزهار كلّ يوم حتى امتدّت على مسافة ثلاثين ياردة وأدهشت كلّ من رآها. وهذا هو السبب الذي كان وراء تلقيب هاياتو بكيكو (رجل الأقحوان).

الأقحوانة في الصين هي زهرةٌ مقدّسة. وتقول الأسطورة إن رجلاً اسمه هوزو (وهو جدّ الإمبراطور جويكاي) عاش ثمانمئة سنة من دون أن تظهر عليه معالم الشيخوخة، وكان يعزو ذلك إلى شربه ندى الأقحوان. بالإضافة إلى حبّه للأزهار، كان كيكو يحبّ الأولاد كثيراً، فيأتي بهم من القرية إلى كوخه الفقير، وفي ظلّ عدم وجود معلّم، يعلّمهم القراءة والكتابة والمصارعة اليابانية. أحبّه الأولاد حباً جماً، واحترمه أهل القرية كما لو كان إلهاً.

كان كيكو في الثانية والثمانين من العمر عندما أصابه الزكام وتسبّبت له الحمّى بأشدّ الآلام.

Twitter: @ketab_n

في النهار كان تلاميذه يعتنون به، أمّا في الليل فكان يبقى وحيداً في كوخه.

وذات ليلة خريفية، استيقظ كيكو ورأى أولاداً رائعي الجمال واقفين على شرفته. لم يبدُ هؤلاء الأولاد كسائر الأولاد، فقد كان جمالهم أخّاذاً ومظهرهم بعيداً كلّ البعد عن مظهر أولاد القرية الفقراء.

صاح اثنان من الأولاد: «كيكو ساما، نحن لسنا بأولاد عاديّين، لكن لا تخف منّا. نحن أرواح الأقحوان التي تحبّها كثيراً والتي اهتممت بها خير اهتمام. جئنا نعرب لك عن أسفنا لرؤيتك سقيماً، لكننا سمعنا أن في الصين رجلاً اسمه هوزو عاش ثمانمئة سنة لشربه الندى الذي تساقط عن الأزهار. حاولنا فعل ما بوسعنا لإطالة عمرك، إلاّ أن الجنّة تناديك، وستموت بعد ثلاثين يوم. فاستعدّ للرحيل».

قال الولدان ذلك وبدأ الأولاد كلّهم بالبكاء والنحيب.

فأجاب كيكو: «الوداع إذن، لا أمل لي بالحياة، فليكن موتي سهلاً. قد أتمكّن في العالم الآخر من خدمة سيدي. لكن الأمر الوحيد الذي يحزنني هو أنتم، لأن الأسى سيصيبني لفراقكم يا أقحواناتي!». قال كيكو ذلك وابتسم للأولاد ابتسامة عطف وحنان.

Twitter: @ketab_n

أجابت أزهـار الأقحوان: «عاملتنا بلطف شديد، ونحن ممتنون لك ونكنّ لك حباً كبيراً. الناس يفرحون عند الولادة ويحزنون عند الموت، لكنك لم تذرف دمعةً واحدة. قلتَ إن الموت لا يحزنك إلا لأنه يفرّقك عنّا. فإن متّ فسنموت أيضاً، لن ينفعنا الحزن ولا التحسّر، صدّقنا إن متّ فسنموت معك».

ما كادت أرواح الأقحوان تنهي كلامها حتى هبّت ريحٌ على الكوخ وحملتها. مع بزوغ الفجر، ساءت حالة الشيخ، والغريب أن أزهار الأقحوان بدأت تذبل وأوراقها تيبس، حتى تلك التي كانت قد بدأت للتو بالتفتح.

وتماماً كما قالت أرواح أزهار الأقحوان، بعد مرور ثلاثين يوم، مات الشيخ وماتت معه الأزهار، ولم تبقَ زهرةٌ واحدة في المقاطعة كلّها. لم يتمكّن أهل القرية من تفسير ما جرى، فما كان منهم إلا أن دفنوا الشيخ بالقرب من سيده، واعتقدوا أنهم سيفرحون روحه إن زرعوا بعض الأزهار حول قبره، إلا أنهم ما زرعوا زهرة أقحوان إلا وذبلت.

وبقي القبران وحيدين تنبت حولهما الأعشاب البرية.

Twitter: @ketab_n

أميرة الفاوانيا[1]

منذ سنوات بعيدة في غاموغان، في مقاطعة أومي، كانت قلعةٌ اسمها أدزوشي نو شيرو. وكانت هذه القلعة عبارة عن مكان قديم رائع، مُحاط بسور وخندق مائي مليء بزنابق الماء. كان السيد الاقطاعي رجلاً شجاعاً ثرياً اسمه يوكي نايزن نو جو، وقد ترمّل منذ بضع سنوات. ولم يكن له أبناء إلا ابنة جميلة في الثمانية عشرة، تلقّب لسبب أجهله، بالأميرة. عمّ السلام والهدوء أرجاء القرية فترةً طويلة فقد ربطت بين الإقطاعيين علاقاتٌ جيدة وكان الجميع سعيداً. فوجد السيد نايزن نو جو أن الوقت مؤات للبحث عن زوج لابنته الأميرة آيا، ولم يجد لها أفضل من ابن سيد آكو، فوالده رجلٌ غنيٌ وصاحب أخلاق ومبادئ. رأى ابن سيد آكو عروسه فأُعجِبَ بها ووافق على الزواج منها وهي الأخرى أُعجِبَت به ووافقت على الزواج منه. ويقال إن الأولاد مُلزمون بخيار آبائهم، وقد نتج الكثير من حالات الانتحار عن هذا الواقع.

(1) نبتة عود الصليب (م).

Twitter: @ketab_n

قرّرت الأميرة آيا أن تحبّ زوجها المستقبلي. لم تكن تراه، لكنها كانت تفكّر فيه وتتكلّم عنه.

وذات مساء، كانت الأميرة آيا تتنزّه في الحدائق الخلاّبة تحت ضوء القمر، ترافقها خادماتها، فراحت تتأمّل مسكبة أزهار الفاوانيا المفضّلة لديها، والمستنقع الذي تعشق عيناها تأمّله في الليل وضوء القمر ينعكس في مياهه والضفادع تنق على ضفافه واليراع تطير فوقه.

اقتربت الأميرة من المستنقع وانزلقت رجلها، وكانت ستسقط في الماء لو لم يظهر شابٌ وسيمٌ ويمسك بها، وما كادت تقف مجدداً حتى اختفى الشاب. أمّا خادماتها فرأينها تنزلق، ثم رأين وهج نور، لكن الأميرة آيا قد رأت أكثر من ذلك بكثير. لقد رأت أكثر الشباب وسامةً، وقالت للآنسة سادايو، خادمتها المفضّلة: «هو في الواحد والعشرين من عمره، ولابدّ من أنه ساموراي من الطراز الرفيع، فقد كان لباسه مغطّى بأزهار الفاوانيا المفضّلة لديّ، ليتني استطعت رؤيته دقيقةً إضافية لأشكره على إنقاذي من السقوط في الماء! من عساه يكون؟ وكيف أمكنه دخول الحديقة بوجود الحرّاس كلّهم؟».

Twitter: @ketab_n

أخبرت الأميرة خادماتها بما رأت وطلبت منهنّ أن يكتمن هذا السرّ، خشيةَ أن يعلم والدها بالأمر فيبحث عن الشاب ويقتله لدخوله الحديقة.

بعد تلك الليلة، مرضت الأميرة آيا، وعجزت عن الأكل والنوم، فشحب وجهها وهزل جسمها. حلّ يوم زواجها من ابن سيد آكو لكنها لم تقوَ على الزواج منه بسبب مرضها. جاء أفضل الأطباء من العاصمة كيوتو لمعاينتها، لكن أحداً منهم لم يعرف لها دواءً. فما كان من والدها، السيد نايزن نو جو، إلا أن نادى على خادمتها وصديقتها الآنسة سودايو وسألها إن كانت تعرف لسقم ابنته سبباً. أكان لها حبيبٌ سري؟ أما كانت تحبّ خطيبها؟

أجابت الآنسة سادايو: «سيدي، لا أحبّ البوح بالأسرار، لكنني أرى أن من واجبي تجاه حضرتك وتجاه سيّدتي أن أخبرك بالحقيقة. منذ ثلاثة أسابيع، كان القمر بدراً، وكنّا نتمشى بالقرب من مساكب أزهار الفاوانيا على مقربة من المستنقع حيث كانت تحبّ الأميرة أن تتنزه. فزلت قدمها وكادت تسقط في الماء عندما حصل أمرٌ غريب. في لحظة ظهر محاربٌ وسيمٌ وأمسك بها مانعاً سقوطها في المستنقع، نحن لم نرَ سوى وميض نور، إلا أن ابنتك رأت الشاب الوسيم، لكنه اختفى قبل أن تتمكّن حتى من شكره.

Twitter: @ketab_n

لم نفهم كيف أمكن لرجل دخول حدائق الأميرة بوجود الحرّاس على بوّابات القلعة، كما أن حراسة حديقة الأميرة تفوق حراسة أي مكان آخر، ممّا يجعل دخول الحديقة أمراً مستحيل. طلبت منّا الأميرة آيا ألا نتفوّه بكلمة أمامك خشية أن تغضب. ومنذ تلك الليلة، مرضت أميرتنا الحبيبة آيا، وأصاب السقم قلبها. إنها مغرمةٌ بالساموراي الوسيم أيما غرام، وعلينا أن نجد هذا الأمير الشاب يا سيدي، وإلا ماتت أميرتنا».

قال السيد نايزن نو جو: «كيف أمكن لرجل أن يطأ أرضي؟ يقال إن الثعالب وحيوانات الغرير تظهر بشكل بشري أحياناً، إلا أنه يستحيل على هذه المخلوقات دخول أرض قلعتي الحروسة من كل حدب وصوب».

في مساء ذلك اليوم، ساءت حال الأميرة أكثر من أي يوم مضى، ففكّرت خادمتها بطريقة تفرح بها قلبها قليلاً، وما كان منها إلا أن أرسلت بطلب عازف بيوا[1] مشهور اسمه ياشاكيتا كينغيو. كان الطقس حاراً فجلس الجميع على الشرفة وراح العازف يعزف على آلته وفجأةً ظهر من خلف أزهار الفاوانيا المحارب الوسيم نفسه. هذه المرّة رآه الجميع ورأوا أزهار الفاوانيا التي تزيّن ملابسه.

(1) آلة موسيقية تشبه العود (م).

Twitter: @ketab_n

فصرخوا: «ها هو! ها هو!»، ثم اختفى كما ظهر. سُرّت الأميرة أيما سرور وعادت الحياة إلى قلبها بعد أن غابت عنه لأيام، أما السيد فقد زادت حيرته عند سماع الخبر.

في الليلة التالية، كانت الخادمتان تعزفان لسيدتهما، الآنسة ياي تعزف على المزمار والآنسة ياكومو تعزف على الكوتو (وهي آلة موسيقية يابانية أشبه بآلة القانون) وفجأةً ظهر الشاب مرةً جديدة. جرى البحث عنه في مساكب أزهار الفاوانيا لكن من دون جدوى، فلم يجدوا آثار قدميه حتى، ممّا زاد الأمر غرابة.

بعد المشاورات، قرّر سيّد القلعة دعوة الضابط المتمرّس المشهور ماكي هيوغو للقبض على الشاب إذا ما ظهر في تلك الليلة. وافق ماكي هيوغو وحضر في الموعد المحدّد متّشحاً بالسواد، متخفياً وراء ظلمة الليل بين أزهار الفاوانيا.

من الواضح أن الموسيقى تجذب المحارب الشاب، ففي كل مرة ظهر فيها كانت تُعزَف الموسيقى. وبالفعل، بدأت الآنسة ياي والآنسة ياكومو بالعزف وأنظار الجميع متّجهة نحو مساكب الفاوانيا، وما كادت الآنستان تبدآن بعزف مقطوعة اسمها «سوفورين» حتى ظهر الساموراي الوسيم ببزته المزينة بأزهار الفاوانيا. راح الجميع يحدّق بالمحارب ويتساءل عمّا

Twitter: @ketab_n

يؤخّر ماكي هيوغو عن القبض عليه. في الواقع كان ماكي هيوغو مذهولاً بالساموراي النبيل لدرجة أنه لم يرغب أن يمسسه في البداية، لكنه تذكّر واجبه تجاه سيده، فتقدّم من الشاب خلسةً وأمسكه من خاصرته بإحكام. بعد لحظات قليلة، شعر ماكي هيوغو ببخار يغلّف وجهه ففقد وعيه وسقط أرضاً، لكنه بقي ممسكاً بالمحارب الشاب عازماً على القبض عليه.

رأى الجميع العراك وأسرع بعض الحرّاس إلى المكان، وعند وصولهم، استعاد ماكي هيوغو وعيه وصاح: «تعالوا وانظروا، لقد قبضت عليه، تعالوا وانظروا! لكنه نظر إلى ما يمسك به ولم يرَ سوى زهرة فاوانيا ضخمة!».

في هذا الوقت وصل السيد نايزن نو جو إلى المكان ليجد ماكي هيوغو ممدّداً، حاله كحال الأميرة آيا وخادماتها، وقد كان الجميع مذهولين مندهشين ما عدا السيد نفسه الذي قال: «كنتُ مصيباً، ما كان ليتمكّن أي ثعلب أو غرير من تجاوز الحرّاس ودخول هذه الحديقة. إنها روح زهرة الفاوانيا متجسّدةً في أمير. ثم استدار نحو ابنته وخادماته وقال: «يجب أن تعتبرن ما حدث أمراً جيداً، فلتنظرنَ باحترام لأزهار الفاوانيا، ولتعتنينَ جيداً بالزهرة التي أمسكها ماكي هيوغو».

Twitter: @ketab_n

أخذت الأميرة آيا الزهرة إلى غرفتها، فوضعتها في إناء ماء بالقرب من وسادتها شاعرة بذلك أن حبيبها قريبٌ منها فتحسّنت حالتها يوماً بعد يوم، واعتنت بالزهرة فازدادت قوّة ونضارة ولم تذبل. في النهاية شُفِيَت الأميرة، وعادت فاتنةً مشرقة، وازدادت الزهرة بدورها جمالاً ونضارة.

بعد أن تعافت الأميرة آيا، لم يبقَ أي سبب أمام والدها لتأجيل الزواج. وبالفعل، بعد أيام قليلة، وصل سيد آكو وعائلته إلى القلعة، وتزوّج ابنه من الأميرة.

حالما انتهى الزفاف، وُجِدَت زهرة الفاوانيا في الإناء ذابلةً فانية. ومنذ ذلك الحين، ما عاد أهل القرية ينادونها الأميرة آيا أو آيا هايم بل بوتان هايم أو أميرة الفاوانيا.

Twitter: @ketab_n

شجرة الكرز التذكارية[1]

في محيط معبد بوكوجي في تاكاتسوجي، المعروفة بيابوغاشيتا (ومعناها تحت الشجرة)، في كيوتو، كان متجرٌ للتحف يملكه رجل اسمه كيهاشي.

لم يكن هيكاشي يملك الكثير ليبيعه، لكن تحفه كانت جميلة، فكان علية القوم يدخلون متجره عندما يأتون للصلاة، ليتفرّجوا إن لم يكن ليشتروا، لأنهم يعلمون أنه إن كان من شيء جميل يستحقّ الشراء فلابدّ من أن يكون موجوداً لدى كيهاشي. كان المتجر صغيراً قديماً بيد أن التحف فيه جميلة راقية إلا أنها لم تكن تُباع بالمزاد العلني. وذات يوم، وهو اليوم الذي بدأت فيه قصّتنا، كان كيهاشي جالساً في متجره، مستعداً للثرثرة أو للبيع، حين دخل فارسٌ شاب من طبقة راقية، وكان اليابانيون في ذلك الحين يطلقون عليهم اسم

(1) بدأت هذه القصّة في السابع والخمسين من فبراير من السنة الثانية من عصر كانكيو. وقد بدأ هذا العصر في العام 1190 ودام حتى العام 1599، ما يجعل السابع عشر من فبراير من العام 1192 تاريخ وقوع أحداث قصّتنا (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

كيوج، وكان الفرق كبيراً بين فارس السيد الإقطاعي وفارس الزعماء الإقطاعيين الذي كان متنمّراً. وكان ذلك الفارس قد جاء إلى المعبد للصلاة.

قال الفارس لكيهاشي: «لديك الكثير من التحف الجميلة، هلا أمكنني الدخول وإلقاء نظرة عليها إلى أن يهدأ المطر قليلاً؟ اسمي ساكاتا وأنا فارسٌ من البلاط».

أجاب كيهاشي: «تفضّل، تفضّل. بعض تحفي جميلٌ، وكلها جيدة لكن التحف الراقية قليلةٌ اليوم. ففي تجارتي تريد أن تعيش حياتين، مئة سنة من الأسى والمتاعب تجمع في خلالها التحف الرخيصة، ومئة سنة أخرى من السلام تبيع في خلالها ما جمعت وتستمتع بالأرباح. في الحقيقة عملي بغيضٌ ولا يدرّ عليّ الربح الوفير، لكنني أحبّ التحف التي أشتريها، وغالباً ما أنظر إليها مطوّلاً قبل أن أعرضها للبيع. إلى أين أنت ذاهبٌ يا سيدي؟ أرى من الثياب التي ترتديها وتحملها أنك مسافرٌ».

أجاب ساكاتا: «هذا صحيح، يبدو أنك فطن. أنا مسافرٌ إلى توبا في ياماتو. سأزور صديقاً لي، فقد مرض فجأة، وأخشى ألا يبقى على قيد الحياة إلى حين وصولي!».

Twitter: @ketab_n

قال تاجر التحف: «في توبا! هل تسمح بأن تخبرني باسم صديقك؟».

أجاب ساكاتا: «بالتأكيد، اسم صديقي ماتسوي».

قال تاجر التحف: «أنه الرجل الذي يقال إنه قتل شبح أو روح شجرة الكرز العتيقة بالقرب من توبا، وقد كانت الشجرة مزروعةً في أراضي المعبد الذي يعيش فيه اليوم مع الكهنة. يقول الناس إن شجرة الكرز هذه عتيقةٌ جداً حتى إن الروح غادرتها وتجلّت بشكل امرأة جميلة، إلا أن ماتسوي قتلها خوفاً منها أو كراهيةً لها، ويقال إنه منذ تلك الليلة، أي منذ عشرة أيام، أصاب السقم صديقك ماتسوي ويبست شجرة الكرز وماتت».

شكر ساكاتا كيهاشي على المعلومات التي أمدّه بها، ثم أكمل طريقه ووصل إلى صديقه ماتسوي ليجد كاهن معبد شونان يعتني به بكل حرص.

لم يمضِ على مغادرة الفارس متجر التحف طويلاً حتى بدأت تثلج. أقفل كيهاشي متجره وخلد إلى الفراش، وقد كان ذلك أمراً مألوفاً في اليابان، ولا شكّ أنه أخذ معه منحوته خشبية قديمة لكي يحفها ويعتني بها.

Twitter: @ketab_n

في وقتٍ غير متأخر من الليل، دُقَّ الباب. لم يرغب كيهاشي في النهوض من فراشه الدافئ فصاح: «من الطارق؟ عد في الصباح فأنا لست بحال جيدة الليلة».

فأجابت الفتاة عند الباب: «يجب أن تنهض! قفد جئت أبيعك لوحةً يابانيّة جميلة. وكان صوت الفتاة رقيقاً جداً، غلم يتمكّن تاجر التحف من تجاهله، فنهض من فراشه، وفتح الباب بأصابعه الكسولة».

تساقط الثلج بكثافة، لكنه كان قد توقّف وقد سطع القمر بدراً في السماء. ووجد كيهاشي أمامه فتاة جميلة في الخامسة عشرة من العمر، حافية القدمين، تحمل لوحةً نصف مكشوفة في يديها.

كانت الفتاة ابنة ماتسوي من توبا وقالت له: «أرأيت؟ جئت أبيعك هذه اللوحة!».

دعاها الرجل إلى الدخول، وألقى نظرةً على اللوحة فرآها تصوّر امرأةً جميلةً واقفةً. كانت اللوحة جميلةً جداً فأعجبت الشيخ كثيراً.

Twitter: @ketab_n

عرض عليها مبلغاً زهيداً مقابل اللوحة فوافقت من دون أي جدل، فتفاجأ بذلك حتى ظنّ أنه من الممكن أن تكون اللوحة مسروقة. لم يقل تاجر التحف شيئاً بل أعطى الفتاة المال، فأخذته وذهبت مسرعةً.

تمتم الشيخ: «بلى، لقد سرقتها، لا شك أنها سرقتها. لكن هذه اللوحة تساوي الكثير وأنا قد اشتريتها بثمن زهيد وهذا كل ما يهمّني في الأمر».

سرّ هيكاشي كثيراً بهذه الصفقة، فأنار القنديل، وعلّق اللوحة، ثم جلس يتأمّلها. كانت مرسومةً بإبداع شديد تصوّر امرأة فاتنة الجمال، وفي الواقع كانت تساوي أكثر بكثير ممّا كان يظنّ. فجأةً، تغيّرت اللوحة! نعم، فالمرأة الجميلة في اللوحة ما عادت جميلة. أصبح وجهها قبيحاً بشعاً، ناحلاً مغطّىً بالدم، وأخذت عيناها تفتحان وتغمضان، وكانت المرأة تلهث. شعر كيهاشي بالدم يقطر على رأسه من جرح في كتف المرأة. فارتعب ما كان منه إلاّ أن دسّ رأسه تحت الغطاء وبقي كذلك حتى الفجر من دون أن يغمض له جفنٌ طوال الليل.

Twitter: @ketab_n

عندما فتح عينيه، عادت اللوحة كما اشتراها: لوحة امرأة فاتنة. اعتقد كيهاشي أن فرحته بعقد هذه الصفقة الجيدة تسبّبت له برؤية كابوس، فقرّر ألا يقلق بشأن ما رأى من أمور مرعبة.

إلا أنه كان على خطأ. ومرّةً جديدة سرقت اللوحة النوم من عينيه، مظهرةً الوجه نفسه حتى إنه كان يُسمَع منها صراخٌ أحياناً. لم تعرف عينا هيكاشي النوم، وفكّر أن السبب هو أنه اشترى لوحةً ثمينةً بسعر زهيد، ففكّر أن عليه الذهاب إلى توبا وإعادة اللوحة إلى ماتسوي، وهو يعلم أنه لا يمكن أن يطالب باستعادة أمواله.

بعد سفر دام يومين، وصل إلى معبد شونان بالقرب من توبا، وطلب مقابلة ماتسوي. فدلوه إلى غرفة ماتسوي، وفي الواقع كانت حاله أفضل قبل أن يرى المرأة المرسومة على اللوحة، إذ شحب وجهه عندما أمسك باللوحة فمزّقها إرباً ورماها في موقد[1] المعبد، ثم قفز فيها مع ابنته، واحترقا حتى الموت.

مرض هيكاشي عند رؤية ذلك، وانتشر الخبر في أرجاء المنطقة.

(1) تقول القصّة إنه تنّور لكنه بحسب رأيي موقد أو قد تكون مشعلة تُضرَم في الهواء الطلق، إلا إن كانت الجثث تحرَق في تلك الحقبة (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

استعلم الأمير نيجو حاكم كيوتو حول ما حدث، وتأكّد أن ما لحق بماتسوي وعائلته ناتج عن قتله روح شجرة الكرز العتيقة. وما كان من الروح إلا أن عاقبت ماتسوي ولقّنته درساً بأن للأشياء العتيقة والميتة روحٌ، فظهرت له على شكل امرأة جميلة مقتولة، ودخلت الروح لوحته الجميلة وبقيت تطارده.

زرع الأمير نيجو شجرة كرز جديدة مكان شجرة الكرز العتيقة تخليداً لذكراها ومازالت هذه الشجرة حتى اليوم تحمل اسم شجرة الكرز التذكارية.

Twitter: @ketab_n

شجرة كرز جيروهاي، كيوتو

يقول اليابانيون إن الأرواح في الطبيعة الجامدة تتمتع بالحياة أكثر من أرواح الأموات. هناك مثل قديم يقول إن أرواح الأشجار لا تحب شجر الصفصاف. وأعتقد أن المقصود بذلك، هو أنها لا تنسجم مع بعضها بعض. في الرسومات اليابانية للأشباح، نجد دائمًا شجرة صفصاف. لا أدري أي من الرسامين مسؤول عن رسومات أشباح مع شجرة الصفصاف، أهو هوكوساي، الرسام القديم، أو أوكيو مارويama من كيوتو. ولكن من المؤكد أن مارويama قد رسم عددًا من الأشباح تحت شجر الصفصاف – الأولى هدية من زوجته المريضة.

لا أدري ما الذي يربط هذا الموضوع بالقصة التالية، لكن الراوي قد بدأ بها.

في الجهة الغربية من مدينة كيوتو، نجد معبدًا تابعًا لديانة الشينتو، يسمى هيرانو شيد احتفاء بأشجار الكرز التي تنمو هناك. ومن بين هذه الأشجار هناك شجرة يابسة معمرة تُسمى

Twitter: @ketab_n

جيروهي، وتلقى هذه الشجرة اهتمامًا كبيرًا. وأعتقد أن القصة المتعلقة بها لم تحكى لشخص أوروبي من قبل.

خلال موسم تفتّح أزهار شجر الكرز، يكثر توافد المتفرجين، خصوصًا في الليل.

منذ بضع سنوات، وبالقرب من شجرة جيروهي، كان هناك مقهى شاي، يملكه جيروهي، وكان المقهى يزدهر بخطى سريعة. وقد كسب الكثير من المال، وعزي نجاحه إلى شجرة الكرز القديمة، التي وقرها صاحبها بسبب ذلك وأظهر لها احترامًا كبيرًا الشجرة، ملبياً كل حاجاتها. فقد منع الفتيان من تسلقها وتكسير أغصانها. فأزهرت الشجرة وازدهرت تجارته.

وذات صباح، وصل ساموراي إلى معبد هيرانو، وجلس في مقهى الشاي ليتفرج على تفتح أزهار شجرة الكرز. كان ذو مظهر قوي، بشرته قاتمة اللون، ووجهه يوحي بالشر، ويبلغ طوله زهاء خمسة أقدام وثمانية إنشات.

سأله: «أأنت صاحب المقهى هنا؟».

أجاب جيروهي: «أجل يا سيدي، بمَ يمكنني أن أخدمك؟».

Twitter: @ketab_n

قال المحارب: «لا شيء، شكرًا لك، يا لها من شجرة رائعة لديك هنا مقابل المقهى».

أجل يا سيدي، انا أدين بازدهار تجارتي إلى هذه الشجرة الرائعة. شكرًا لك يا سيدي لتعبيرك عن إعجابك بها».

أجاب المحارب: «أريد أن آخذ غصنًا من هذه الشجرة وأقدمه إلى إحدى راقصات الغيشا».

«أنا مضطر لرفض طلبك. لقد نهاني كهنة المعبد عن ذلك عندما بنيت هذا المكان. عليّ رفض طلب كهذا، بغض النظر عمن يطلب غصنًا منها. لا يمكن حتى قطف وردة عن الشجرة، ولكن يمكن لمها عن الأرض لدى سقوطها. وأرجوك، تذكر يا سيدي، هناك مثل قديم يقول إنه بإمكاننا كسر أغصان شجرة الخوخ ووضعها في المزهرية، ولكن لا يمكننا فعل ذلك بشجرة الكرز».

قال المحارب: «يبدو أنك رجل تحب الجدال البغيض. عندما أقول إنني أريد شيئًا، فهذا يعني أنني أريد الحصول عليه. لذا، من الأفضل لك أن تأتيني بغصن منها».

أجاب جيروهي بكل هدوء وتهذيب: «رغم إصرارك هذا، عليّ أن أرفض».

Twitter: @ketab_n

«وبقدر ما ترفض، بقدر ما يزداد تصميمي على الحصول عليها. أنا، كمحارب، قلت إنه علي الحصول عليها. هل تظن أنك تستطيع أن تثنيني عن الوصول إلى هدفي؟ إن لم تجلب لي غصنًا بالحسنى، فسآخذه بالقوة». تطبيقًا لكلامه، استلّ المحارب سيفه، وكاد يقطع أفضل الأغصان. تمسك جيروهي بكم اليد التي تحمل السيف وبكى قائلًا: «لقد طلبت منك أن تدع هذه الشجرة بحالها، ولكنك تأبى. أرجوك خذ حياتي أنا بدلاً منها».

«أنت رجل غبي وقح ومزعج. سألبي طلبك بكل سرور». وبعد أن قال ذلك، جرح جيروهي بشكل طفيف، ليجعله يفلت الكم. أفلت جيروهي قبضته، ولكنه ركض إلى الشجرة، وبعد معركة طويلة على الغصن، الذي قطع بالرغم من دفاع جيروهي، تعرض هذا الأخير للطعن مجددًا، ولكن هذا الإصابة كانت مميتة. بعد أن رأى المحارب أن الرجل في وضع حرج، فر بأقصى سرعة، تاركًا الغصن المزهر على الأرض.

حين سمع الخدم أصوات الصراخ، هرعوا من المنزل، وتبعتهم زوجة جيروهي العجوز المسكينة.

Twitter: @ketab_n

بدا أن جيروهي قد توفي، ولكنه ظلّ متشبثاً بالشجرة تشبثه بالحياة. وقد تطلب الأمر ساعة كاملة لحمله بعيداً منها.

منذ تلك الحادثة، تدهورت الأحوال في مقهى الشاي. فبدأ يقلّ عدد الزبائن، وصار مرتادوه من الفقراء غالباً. إضافة إلى ذلك، وبعد جريمة قتل جيروهي، بدأت الشجرة تذبل حتى ماتت في أقل من سنة. أجبر المقهى على الإغلاق لعدم وجود التمويل المطلوب. أما زوجة جيروهي، فقد شنقت نفسها على الشجرة الميتة أيام قليلة من مقتل زوجها.

يقول الناس إنهم رأوا أشباحًا تهيم حول الشجرة، وخشيوا الاقتراب منها ليلًا. حتى إن السكان المحيطين بالمقهى عانوا أوقاتًا عصيبة، وكذلك المعبد الذي أصبح مغموراً لردح من الزمن.

ولم يخبر الساموراي الذي تسبّب بذلك، أحدًا عما فعله إلا والده. وقد أخبر هذا أنه يريد الذهاب إلى المعبد للتأكد من قصة الأشباح. ومع ذلك، وفي اليوم الثالث من شهر مارس، من السنة الثالثة من حقبة كيو(منذ اثنين وأربعين عامًا)، بدأ مسيرته إلى هناك ليلاً، وقد جهز نفسه بالسلاح، بالرغم من محاولة والدة من منعه. توجه مباشرة إلى الشجرة القديمة اليابسة، واختبأ خلف فانوس حجري.

Twitter: @ketab_n

في منتصف الليل، ذهل لرؤية الشجرة اليابسة تزهر أوراقها وتتفتح، لتبدو تمامًا كما رآها حين قطع الغصن وقتل جيروهي. لدى رؤيته ذلك، انقض على الشجرة بعنف، وأغمد سيفه فيها. هجم عليها بغضب وسخط، تاركًا فيها الجروح. وسمع صوتًا خائفًا، بدا صادراً من داخل الشجرة. بعد مرور نصف ساعة، بدأ ينال منه التعب، لكنه صمم على الانتظار حتى طلوع الفجر ليرى مدى الضرر الذي ألحقه بها. عند بزوغ الفجر، وجد المحارب والده ممددًا على الأرض، وقد تقطع إربًا، وبالتأكيد، قد فارق الحياة. بلا شك، فقد لحق الوالد بابنه للتأكد أن ما من مكروه سيصيبه.

صعق المحارب، وتملكه الحزن والعار. لم يبق له سوى الصلاة للآلهة طالبًا منها السماح، ومقدمًا نفسه لها، وهذا ما فعله بالتضحية بنفسه. منذ ذلك الحين، لم تعد تظهر الأشباح، وعاد الزوار يتوافدون إلى المكان للتفرج على الشجرة وهي تزهر، في الليل وفي النهار، وما زالوا يفعلون ذلك إلى يومنا هذا. لم يستطع أحد معرفة ما إذا كان الشبح الذي ظهر، هو شبح جيروهي، أم شبح زوجته، أم شبح شجرة الكرز التي ماتت بعد أن قطع أحد أغصانها.

Twitter: @ketab_n

شبح الثلج

قد لا تكون أشباح الثلج كثيرة، حتى في اليابان التي شهدت هذه الأشباح وأسمتها يوكي أونا (الشبح الثلجي). وقد لا يكثر الكلام عنها إلا في أعالي الجبال المكسوّة بالثلوج في الشتاء. وسيتذكّر من قرأ كتب لافكاديو هيرن[1] قصّة الشبح الثلجي الجميلة، إلا أنني لا أراها أفضل من قصتنا.

في شمال مقاطعة إشيغو، قبالة جزيرة سادو على بحر اليابان، تتساقط الثلوج بغزارة، وقد يصل ارتفاعها إلى عشرين قدم، حتى إن كثراً دُفِنوا تحت الثلوج ولم يُعثَر عليهم حتى فصل الربيع. منذ سنوات غير بعيدة، دُفنَت ثلاث سرايا من الجيش تحت الثلوج في أوموري ولم ينجُ منها سوى ثلاثة أو أربعة جنود، ولم يتمّ العثور عليهم سوى بعد أسابيع، كلّهم أموات.

(1) لافكاديو هيرن (1850–1904): يعرف أيضاً باسم كويزومي ياكومو، ويشتهر بالقصص التي كتبها عن أساطير اليابان وعن الأشباح (م).

Twitter: @ketab_n

من الطبيعي أن تثير الاختفاءات الغامضة مخيلة الأشخاص الذين يميلون إلى التوهّم والخيال. وقد لازمت قصص الأشباح الثلجية سكان الشمال، الذين يقول عنهم سكان الجنوب إنهم يكثرون من تناول الساكي فيرون الأشجار المكسوّة بالثلوج نساءً، وهذا ما يفسّر ما رآه مزارعٌ اسمه كيوزايمون.

في قرية هوي المؤلّفة من أحد عشر منزلاً يسكنها الفقر، عاش كيوزايمون فقيراً تعيساً وحيداً بعد أن فقد ابنه وزوجته.

عند بعد ظهر التاسع عشر من يناير من العام الثالث من عصر تامبو، أي في العام 1833، هبّت عاصفة ثلجيّة مريعة. أقفل كيوزايمون الأبواب وجلس في كوخ يستريح. عند الحادية عشرة ليلاً، استيقظ على صوتِ الباب يُطرَق طرقاً غريباً منتظماً. جلس في فراشه ينظر إلى الباب غير عارف من قد يكون الطارق. طُرِقَ الباب ثانيةً وسُمِع صوت فتاة. ظنّ كيوزايمون أنها قد تكون ابنة أحد جيرانه بحاجة إلى المساعدة، فنهض من فراشه لكنه عندما وصل إلى الباب، خشي أن يفتحه. طُرِقَ الباب وسُمِعَ صوت الفتاة مجدداً فصاح: «من أنت؟ وماذا تريدين؟».

فأجاب الصوت: «افتح الباب! افتح الباب!».

Twitter: @ketab_n

قال كيوزايمون: «أفتح الباب! كيف لي أن أفعل ذلك وأنا لا أعرف من تكونين وماذا تفعلين في الخارج في هذا الوقت المتأخر وفي ليلة عاصفة كهذه؟».

أجاب الصوت: «يجب أن تدعني أدخل. كيف لي أن أكمل طريقي والثلج يغطّي الأرض وما زال يتساقط؟ أنا لا أطلب منك الطعام، لا أطلب سوى ملجأ لي».

قال كيوزايمون: «آسف، لا فسحة لدي، لذا يستحيل أن أدخلك منزلي».

أجاب الصوت: «لا أريد مرقداً، لا أريد سوى ملجأ».

فقال كيوزايمون: «لا يمكنني إدخالك في كلّ الأحوال فذلك مناف للشرائع والأخلاق».

قال كيوزايمون كلمته، وأحكم إقفال الباب، ولم يجرؤ حتى على النظر من خلال مصراعي الباب ليرى من كان الزائر. استدار للعودة إلى فراشه، وارتعب لرؤية طيف امرأة متّشحةً بالبياض، وشعرها منسدلٌ على ظهرها. لم تبدُ تلك المرأة شبحاً، فقد كان وجهها جميلاً، وبدت في الخامسة والعشرين من العمر. تفاجأ كيوزايمون وما كان منه إلا أن صرخ: «من أنت؟ كيف دخلتِ غرفتي؟ أين تركتِ حذاءك؟».

Twitter: @ketab_n

أجاب الطيف: «يمكنني دخول أي مكان أختاره، وأنا هي المرأة التي لم تُدخِلها إلى منزلك. لست بحاجة إلى حذاء فأنا أنطلق مسرعةً على الثلج أو أطير أحياناً في الجو. أنا في طريقي إلى القرية التالية، لكن الرياح تعاكسني، ولهذا السبب أردت أن تدعني أدخل منزلك. إن سمحت لي بالبقاء هنا، فسأرحل حالما تهدأ الرياح، وفي كلّ الأحوال لابدّ من أن أكمل طريقي في الصباح».

قال كيوزايمون: «ما كنت لأمنعك من البقاء عندي لو كنتِ امرأة عادية، لا بل كان ذلك ليسعدني، لكنني أخشى الأشباح أيما خشية، وهذه كانت حال أجدادي من قبلي».

أجاب الطيف: «لا تخف، هل لديك مذبح؟».

قال كيوزايمون: «نعم لديّ مذبح، لكن ما همّك من ذلك؟».

«قلتَ إنك تخشى الأشباح. أتمنّى أن أقدّم احترامي لأجدادك وأطمئن أرواحهم إلى أن ضرراً لن يصيبك من خلالي. هلا فتحت المذبح وأنرته؟».

Twitter: @ketab_n

قال كيوزايمون مرتعباً مرتجفاً: «نعم، سأفتح المذبح وأنيره. أرجوك أن تصلّي من أجلي فأنا رجلٌ سيء الطالع، لكنني أطلب منك في المقابل أن تخبريني من تكونين وشبح من أنتِ؟».

«كثيرةٌ هي الأمور التي تريد معرفتها، لكنني سأخبرك. أعتقد أنك رجلٌ صالحٌ. كان اسمي أوياسو، أنا ابنة يازايمون الذي يعيش في القرية المجاورة. قد تكون على علم أن والدي مزارعٌ وقد زوّج ابنته من رجل طيب اسمه إيزابورو، إلا أن هذا الأخير، وبعد أن ماتت زوجته، تخلّى عن والدها وعاد إلى منزله القديم. وفي الواقع هذا هو السبب الرئيسي الذي حملني إلى البحث عنه وإبلاغه عدم موافقتي على ما فعل».

«هل أفهم أن الابنة التي تزوّجت من إيزابورو هي نفسها التي هلكت في الثلج السنة الماضية؟ إن كان ذلك صحيحاً فلابدّ من أنك روح أويازو زوجة إيزابورو».

«هذا صحيح، كنتُ أويازو زوجة إيزابورو التي هلكت منذ سنة في العاصفة الثلجية، ويوم غد هو الذكرى السنوية الأولى لوفاتي».

Twitter: @ketab_n

أنار كيوزايمون بيديه المرتجفتين القنديل داخل المذبح، متمتماً نامو أميدا بوتسو، نامو أميدا بوتسو، وفي قلبه حماسةٌ لم يشعر بها يوماً. ثم رأى طيف يوكي أونا (شبح ثلجي) يتقدّم نحو المذبح من دون أن يُسمَع صوت خطواته.

أخلد كيوزايمون إلى فراشه وسرعان ما غطّ في نوم عميق. ولم يمضِ على نومه طويلاً حتى سمع صوت المرأة تودّعه. وقبل أن ينهض كانت قد اختفت من دون أثر، والقنديل ما زال مشتعلاً في المذبح.

استيقظ كيوزايمون مع بزوغ الفجر وذهب إلى القرية المجاورة ليرى إيزابورو فوجده يعيش مع والد زوجته يازايمون.

قال إيزابورو: «لقد أخطأتُ عندما تخلّيتُ عن والد زوجتي بعد مماتها، ولا يفاجئني أن طيف زوجتي كان يزورني ويؤنّبني في كلّ ليلة باردة تساقطت فيها الثلوج. وقد رأيتها في الصباح الباكر وقرّرت العودة، ولم يمضِ على وجودي هنا سوى ساعتين».

بعد مقارنة المعلومات، وجد كيوزايمون وإيزابورو أن أويازو غادرت بطيفها منزل الأول وظهرت للثاني، بعد نصف ساعة من منتصف الليل، وبقيت معه حتى وعدها بالعودة إلى منزل والدها ومساعدته في شيخوخته.

Twitter: @ketab_n

هذه قصّتي عن الأشباح الثلجية، فكلّ من مات من البرد والثلج تحوّل شبحاً ثلجياً يظهر عندما تتساقط الثلوج، تماماً كما يظهر شبح من مات في البحر عندما تهبّ عاصفة بحريّة.

وحتى اليوم ما زال الكهنة في الشمال يصلّون من أجل راحة نفوس الأموات جراء العواصف الثلجية، ومن أجل ألا تطارد أشباحهم أقرباءهم.

Twitter: @ketab_n

مقبرة الثلج

منذ سنوات بعيدة عاش شاب من طبقة المحارب اشتهر بمهارته الفائقة في المبارزة بالسيف من طراز عرف بطراز ياجيو.

وبفضل مهارته التي اكتسبها بالتعلم على يد معلمه كان يكسب ما لا يقل عن ثلاثين برميلاً من الأرز وحصتين علمت أنها تتراوح بين شو واحد وخمسة شو شهرياً، وبما أن الشو الواحد يساوي 666 قدماً مربعاً، فقد كان المحارب الشاب روكوجو ياكيجي ثرياً.

حقق الشاب نجاحه في مينامي–واري–جيسوي بهونجو يادو وكان معلمه هو سودو جيروزامون ومدرسته هي إيشيواراكو.

لم يكن روكوجو فخوراً بمهارته، كان تواضع الشاب بالإضافة إلى براعته اللذين دفعا أستاذه لأن يجعل تلميذه مساعده. وكانت مدرسته إحدى أفضل المدارس في طوكيو وكان بها أكثر من مئة تلميذ. في يناير اجتمع التلاميذ كالعادة للاحتفال بالعام الجديد

Twitter: @ketab_n

وفي اليوم السابع أخذوا يشربون ناناكوسا وهو نوع من حساء الأرز تمزج فيه سبعة أنواع من الأعشاب والخضروات، ويقال إنه يحمي من الإصابة بجميع الأمراض طوال العام.

وراح التلاميذ يسردون قصص الأشباح وكل منهم يحاول أن يروي قصة مخيفة أكثر من قصة صاحبه حتى انتصب شعر بعضهم وكان الوقت متأخراً في المساء.

كانت التقاليد تقتضي بالاحتفال بيوم السابع من يناير بهذا الشكل وكانوا يتناوبون عن طريق كتابة أرقام. وضعت مئة شمعة أسفل سقيفة عند نهاية الحديقة وكان يجب على كل تلميذ يقوم برواية قصة أن يذهب لإحضار شمعة بعد أن ينتهي وكان الهدف من هذا، إن كان هذا ممكناً، هو مضايقة الطالب المتفاخر الذي يقول إنه لا يؤمن بالأشباح ولا يخاف أي شيء.

وفي النهاية جاء الدور على روكوجو وبعد أن أحضر شمعته من نهاية الحديقة وبدأ يروي كما يلي:

«أصدقائي، استمعوا لقصتي فهي ليست مخيفة جداً ولكنها حقيقية.

Twitter: @ketab_n

منذ ثلاثة أعوام عندما كنت في السابعة عشرة من العمر أرسلني أبي إلى جيفو في مقاطعة مينو ووصلت في طريقي إلى مكان يدعى ناكيمورا قرابة الساعة العاشرة مساء.

وخارج القرية في قطعة أرض مقفرة شاهدت كرة نار غريبة الشكل وكانت تتحرك هنا وهناك دون أي صوت وأتت بالقرب مني ثم ذهبت بعيداً مجدداً وكانت تتحرك بشكل عام كأنها تبحث عن شخص ما.

وظلت تدور وتدور حول البقعة نفسها وكانت ترتفع خمسة أقدام عن الأرض ولكنها كانت أقل ارتفاعاً في بعض الأحيان ولن أقول إنني لم أشعر بالرعب لأنني ذهبت لاحقاً إلى نزل ميوشيما وتوجهت لفراشي من دون أن أخبر أي إنسان بما شاهدته ولكني أؤكد لكم أنني كنت مسروراً للغاية لوجودي في النزل.

وفي الصباح التالي غلبني الفضول وأخبرت مالك النزل بما رأيت وأخبرني بالقصة قائلاً:

منذ مئتي عام تقريباً حدثت معركة هنا قتل فيها القائد المهزوم وعندما استعيدت جثته في مرحلة مبكرة من القتال تبين أنها مقطوعة الرأس وظن الجنود أن الأعداء أخذوا الرأس وواصل

Twitter: @ketab_n

أحدهم والذي كان أكثرهم حرصاً على العثور على رأس قائده البحث عنه خلال القتال الدائر وأثناء البحث قتل هو نفسه.

ومنذ تلك الأمسية منذ مئتي عام تحترق كرة النار بعد الساعة العاشرة مساء ويطلق عليها الناس حتى الآن اسم كوبي ساجاشي نو هي (النار الباحثة عن الرأس).

وما إن انتهى مالك النزل من رواية قصته حتى شعرت بانقباض في صدري، لقد كان ذلك أول شيء أراه له صلة بالأشباح».

واتفق التلاميذ على أن القصة غريبة ونهض روكوجو وارتدى قبقابه وذهب لإحضار شمعته من نهاية الحديقة ولم يكد يخطو خطوة أخرى في الحديقة حتى سمع صوت امرأة ولم يكن الظلام سائداً تماماً ولكن كانت هناك ثلوج على الأرض غير أن روكوجو لم يرَ أي امرأة وحين وصل لمكان الشموع سمع الصوت مجدداً وعندما استدار فجأة رأى امرأة جميلة عمرها ثمانية عشر عاماً تقريباً وكانت ملابسها فاخرة وحزامها مربوطاً في التاتييانوجيري (شكل منتصب كالسهم مثل شكل هذا الأخير في الكنانة) وكان الفستان مطرزاً بأكمله بنقوش الصنوبر والخيزران وكان شعرها مصففاً على طراز شيمادا[1].

(1) قصة شعر تقليدية للنساء في اليابان (م).

Twitter: @ketab_n

وقف روكوجو يتأملها بدهشة وإعجاب ولكن دقيقة تفكير جعلته يدرك أنه لا يرى أي فتاة وأن جمالها أنساه تقريباً أنه محارب.

قال لنفسه: «لا، هذه ليست امرأة حقيقية، إنها شبح، يا لها من فرصة لكي أكون مميزاً بين أصدقائي!».

قال ذلك ثم استلّ سيفه الذي صنعه موري شينكاي الشهير وبضربة واحدة قطع الرأس والجسد وكل شيء إلى نصفين.

جرى وأمسك شمعة وعاد للحجرة حيث كان التلاميذ في انتظاره وأخبرهم قصته ورجاهم أن يذهبوا معه ليروا الشبح ونظر الشبان إلى بعضهم بعض ولم يكن منهم من يؤمن حقاً بوجود الأشباح ولم يهتم أحدهم بالمخاطرة ولكن ياماموتو جونوسوك قال بشجاعة ميزته عن الآخرين: «أنا سأذهب» واندفع منطلقاً وبمجرد أن رأى الآخرون ذلك حتى احتشدوا وتوجهوا للحديقة.

عندما توجهوا للمكان الذي من المفترض وجود الشبح الميت به وجدوا فقط بقايا رجل ثلوج كانوا قد صنعوه بأنفسهم خلال اليوم وكان به شق من الرأس وحتى القدمين تماماً كما قال

Twitter: @ketab_n

روكوجو. ضحك التلاميذ جميعاً وشعر العديد منهم بالغضب من روكوجو إذ ظنوا أنه يسخر منهم ولكن بمجرد عودتهم للمنزل أدركوا أنه لم يكن يمزح فقد وجدوه جالساً تسيطر عليه حالة من الغطرسة ويعتقد أن تلاميذه عرفوا الآن مدى مهارته كسياف.

لكنهم نظروا له باستخفاف وقالوا: «لقد رأينا بالفعل أدلة دامغة على مهارتك، حتى الصبي الذي يقذف الكلب بقطعة حجر كان سيمتلك الشجاعة ليفعل ما فعلته أنت».

شعر روكوجو بالغضب ونعتهم بالوقاحة وفقد أعصابه لدرجة أن يده امتدت للحظة لمقبض سيفه وهدد بقتل واحد أو اثنين منهم. اعتذر المحاربون لفظاظتهم ولكنهم أضافوا: «شبحك لم يكن سوى رجل ثلوج صنعناه بأنفسنا صباح اليوم ولذلك قلنا لك إن الطفل لم يكن ليخاف عند مهاجمته».

شعر روكوجو بالحيرة عند سماع ذلك واعتذر بدوره لفقده أعصابه ولكنه قال إنه لا يفهم كيف يمكنه أن يخلط بين رجل ثلوج وشبح امرأة. بسبب شعوره بالحيرة والخجل توسل لأصدقائه ألا يتحدثوا بالمزيد عن الموضوع وأن يحتفظوا به لأنفسهم، وعلى ذلك ودّعهم وغادر المنزل. كان الثلج قد توقف عن الانهمار

Twitter: @ketab_n

ولكنه شكّل طبقة سميكة على الأرض، وكان روكوجو قد تناول الكثير من الساكي حتى إن مشيته لم تكن ثابتة تماماً خلال عودته إلى واريجيسو.

وعندما مر بالقرب من بوابات معبد كورينجي لمح امرأة تأتي باتجاهه أسرع مما ظن عبر أرض المعبد. اتكأ على السور ووقف يشاهدها، كان شعرها مشعثاً وكانت غير مهندمة المظهر وسرعان ما أتى رجل يطاردها ويحمل في يده سكين كبير وصرخ بمجرد أن أمسك بها: «أيتها الشريرة! لقد خنت زوجك المسكين وسأقتلك بسبب ذلك لأنني صديقه».

وقام بطعنها خمسة أو ستة مرات ثم ذهب بعيداً. استأنف روكوجو طريق العودة لمنزله وفكر أن هذا الرجل صديق مخلص حتى يقوم بقتل زوجة صديقه الخائنة وفكر أن جزاء المرأة الخائنة الموت. ولم يكد روكوجو يبتعد قليلاً حتى شعر بدهشة بالغة إذ وجد نفسه وجها لوجه مع المرأة التي قتلت للتو.

كانت تنظر له بعينين غاضبتين وقالت: «كيف يمكنك أيها المحارب الشجاع أن تشاهد مثل تلك الجريمة البشعة تقع أمامك؟ هل استمتعت بالمشهد؟».

Twitter: @ketab_n

كان روكوجو مذهولاً وقال: «لا تحدثيني كأنني زوجك لأنني لست هو، لقد سررت برؤيتك تقتلين لأنك خائنة وإذا كنت شبح امرأة فسأقتلك بنفسي».

لكن قبل أن يستلّ سيفه اختفى الشبح.

واصل روكوجو طريقه وعند اقترابه من منزله التقى امرأة أتت باتجاهه بوجه متأزم وهي تصرّ على أسنانها كأنها تشعر بألم شديد. شعر روكوجو انه واجه ما يكفي من المتاعب مع النساء هذا المساء وخلال تحديقه في تلك الأخيرة افترض أن تلك ثعالب في هيئة نساء.

وفي تلك اللحظة تذكر ما يعلمه عن النساء الثعالب، كانت تلك هي النيران المنبعثة من أجساد الثعالب وحيوانات الغرير وهي لامعة جداً لدرجة أنه في أحلك الليالي من الممكن أن تعرف لون شعرها وحتى شكل الرسوم المنسوجة على الملابس التي ترتديها، وعندما تتمثل في شكل رجل أو سيدة تكون واضحة تماماً من على مسافة كين واحد (ستة أقدام) ومن المؤكد أنه الآن يستطيع أن يرى نقوش الفستان الذي ترتديه حيث كانت ظاهرة كأن هناك ناراً بأسفلها كما بدا الشعر أيضاً كأن هناك نيراناً في أسفله.

Twitter: @ketab_n

وبعدما أدرك انه أمام ثعلب استلّ روكوجو أفضل سيوفه وهو سيف شهير صنعه موري وبدأ يهاجم بحذر لأنه يعلم أنه يجب أن يصيب الثعلب وليس روح الثعلب المتجسدة في شكل امرأة (يقال إنه عندما يحول الثعلب أو حيوان الغرير نفسه لشكل البشر يقف الحيوان الحقيقي بالقرب من الشبح وإذا ظهر الشبح على سبيل المثال في الجانب الأيسر فإن الحيوان نفسه يكون موجوداً إلى جهة اليمين).

بدأ روكوجو هجومه وقتل الثعلب وبالتالي الشبح. وجرى إلى منزله ونادى أقاربه الذين هرعوا وهم يحملون الفوانيس وبالقرب من شجرة ريحان عمرها مئتي عام تقريباً لم يجدوا أي جثث أو ثعالب أو حيوانات غرير بل حيوان كلب البحر.

حملوا الحيوان إلى المنزل وفي اليوم التالي دعوا كافة التلاميذ في مدرسة المسايفة للقدوم والمشاهدة وأقيمت وليمة ضخمة.

وتخلص روكوجو من الخزي الكبير وأقام التلاميذ مقبرة للحيوان تعرف باسم يوكيدزوكا أو (مقبرة الثلج) وما زالت قائمة في معبد كورينجي في واريجيسو هونجو في طوكيو.

Twitter: @ketab_n

شجرة التنين

في العام 1716 خلال حقبة كيوهو منذ 191 عاماً عاش بستاني عجوز اسمه هامبي في مامویاما فوشيمي وكان محطّ محبة الجميع واحترامهم بسبب طبيعته الطيبة وصدقه الشديد.

وعلى الرغم من فقر هامبي إلا أنه ادخر أموالاً تكفي لمعيشته وكان قد ورث منزلاً وحديقة عن والده ولذلك عاش سعيداً. واعتاد قضاء وقت فراغه في الاهتمام بالحديقة وشجرة البرقوق الرائعة وهي من سلالة فريو المعروفة في اليابان وتعني التنين الراقد. وهذه الأشجار ذات قيمة كبيرة ويشتد الطلب عليها في تنسيق الحدائق. والمثير للعجب أنه على الرغم من إمكانية رؤية الكثير من الأشجار الجميلة تنمو في الجبال أو الجزر البرية فمن النادر جداً أن يلمسها أحد ما عدا الموجودة بالقرب من المراكز التجارية الكبيرة. وبالفعل وصل الأمر لدى اليابانيين إلى حد تبجيل بعض أنواع تلك الأشجار الرائعة التي تتخذ شكل الديناصور ولذلك لا يقربوها سواء أكانت أشجار صنوبر أم برقوق.

Twitter: @ketab_n

أحب هامبي الشجرة المذكورة بشدة لدرجة أنه لم يفلح أي عرض شراء قدمه له الناس لأن يتخلى عنها.

اشتهرت الشجرة العتيقة المدهشة بجمال ألوانها وعرضت مبالغ مالية ضخمة على هامبي مقابل الشجرة ولكنه أحبها ليس فقط بسبب جمالها ولكن أيضاً لأنها كانت ملك والده وجده، والآن بعد أن بلغ من العمر وزوجته أرذله وغادر أبناؤه أصبحت الشجرة رفيقه الدائم وفي الخريف كان يرعاها أثناء فترة تساقط الأوراق الميتة ويشعر بالحزن والتعاطف نحوها في نوفمبر وديسمبر عندما تكون باردة عارية من الأوراق ولكن في يناير كان ينشغل بسعادة في مشاهدة البراعم التي ستزهر في فبراير.

وعندما تزهر البراعم يسمح للناس بالقدوم خلال أوقات معينة من اليوم لمشاهدة الشجرة والاستماع لقصص حول حقائق تاريخية وأيضاً لقصص رومانسية تدور حول شجرة البرقوق والتي يعجّ بها الوجدان الياباني.

عند انتهاء كل ذلك كان هامبي يقوم بتشذيب الشجرة وتقليمها. وخلال موسم الحر يجلس أسفل الشجرة ويدخن غليونه وكثيراً ما كان يكافأ على رعايته للشجرة بثمرتين أو ثلاث من ثمار البرقوق التي يحبها بشدة كأنها من أولاده.

Twitter: @ketab_n

لذلك مع مرور الأعوام أصبحت الشجرة رفيق هامبي الذي ما كان يمكن لأي مبلغ ضخم من المال أن يشتريه. لكن للأسف لا يترك الناس أي شخص في حاله في هذا العالم وكان من المؤكد أن شخصاً ما سيطمع عاجلاً أو آجلاً في ممتلكاته.

تردد أن مسؤولاً كبيراً في بلاط الملك سمع بشجرة فريو التي يمتلكها هامبي ورغب في ضمها لحديقته ولذلك أرسل خادمه كوتارو ناروس لمقابلة هامبي لمناقشة شراء الشجرة من دون أن يشك للحظة في أن البستاني الهرم سيتخلى عن الشجرة إذا ما عُرض عليه مبلغ مناسب من المال.

ووصل كوتارو ناروس إلى ماموياما فوشيمي واستقبله الناس هناك باحتفال كبير وبعد أن تناول الشاي أعلن أنه مرسل لتفقد الوضع واتخاذ الترتيبات اللازمة لأخذ شجرة البرقوق للمستشار العظيم.

وشعر هامبي بالحيرة إذ ما هي الذرائع التي يمكنه استخدامها لرفض عرض شخص رفيع المستوى كهذا؟ وبسبب حيرته تلعثم وقال ملحوظة غبية نوعاً سرعان ما استغلها الخادم الماهر.

قال هامبي: «لن أحصل على مقابل لبيعها؟ هل من الممكن أن أبيع الشجرة العتيقة؟ لقد رفضت العديد من العروض بالفعل».

Twitter: @ketab_n

وقال كوتارو لم اقل قطّ إنني مرسل لشراء الشجرة مقابل المال، لقد قلت إنني جئت لاتخاذ الترتيبات اللازمة لكي تنقل بعناية إلى قصر المستشار العظيم الذي اقترح أن يستقبلها باحتفال ويعاملها بعناية كبيرة، وسيبدو الأمر كأننا ننقل عروساً لقصر المستشار العظيم فيا له من شرف ستحظى به شجرة البرقوق التي ستتحد بالزواج مع مثل هذا النسب الرفيع الشأن. يجب أن تشعر بالفخر إزاء هذا التكريم الذي ستحظى به شجرتك، من فضلك استمع لنصيحتي وحقق رغبة المستشار العظيم».

ما الذي يمكن أن يقوله هامبي الآن؟ هو الإنسان الفقير يطلب منه محارب مغوار أن يؤدي خدمة لشخص في مثل تلك المكانة الرفيعة.

رد هامبي قائلاً: « يا سيدي، لقد قدمت طلبك نيابة عن المستشار العظيم بشكل مهذب للغاية حتى إنك لم تترك لي أي فرصة للرفض ومع ذلك لابدّ من أن تخبر المستشار العظيم أن الشجرة هدية ولذلك لا يمكن أن أبيعها».

شعر كوتارو بسرور بالغ لنجاح مناوراته وأخرج من ملابسه حقيبة وقال: «أرجوك كما جرت العادة اقبل هذه الهدية الصغيرة في المقابل».

Twitter: @ketab_n

شعر البستاني بدهشة كبيرة لقد كانت الحقيبة تحتوي على ذهب فردها لكوتارو قائلاً إنه من المستحيل أن يقبل تلك الهدية ولكنه تراجع أمام ضغوط المحارب معسول اللسان.

وفي الدقيقة التي غادر فيها كوتارو شعر هامبي بأسى شديد وشعر كأنه باع لحمه ودمه، بل كأنه باع ابنته للمستشار العظيم.

وفي تلك الليلة جافاه النوم وعند منتصف الليل تقريباً هرعت زوجته لغرفته وجذبته من ذراعه وهتفت: «أيها الشيخ الشرير! أيها الوغد! أتفعل ذلك في هذا العمر؟ من أين أتيت بتلك الفتاة؟ لقد ضبطتك فلا تخبرني بأكاذيب، ستقوم بضربي الآن، إنني أرى بعينيك ولست مندهشة من أنك تريد الانتقام لنفسك بهذه الطريقة إذ لابد أنك تشعر بأنك شيخ أحمق».

شعر هامبي أن زوجته قد جنت فهو لم ير أي فتيات.

وسألها: «ما خطبك أيتها المرأة العجوز؟ إنني لا أرى أي فتيات ولا أعرف عما تتحدثين».

«لا تكذب عليّ لقد رأيتها، لقد رأيتها بنفسي عندما هبطت للأسفل لأحضر كوب ماء».

Twitter: @ketab_n

قال هامبي: «ماذا تعنين بذلك؟ أعتقد أنك جننت بحديثك هذا».

«لقد رأيتها، رأيتها تبكي أمام باب المنزل، إنها فتاة جميلة أيها الوغد إن عمرها لا يتجاوز سبعة عشر أو ثمانية عشر عاماً».

نهض هامبي من فراشه ليرى بنفسه إذا كانت زوجته تقول الحقيقة أم أنها جنت.

وما إن وصل إلى الباب حتى سمع صوت بكاء وبمجرد أن فتحه رأى فتاة جميلة.

سألها: «من أنت وماذا تفعلين هنا؟».

قالت الفتاة: «أنا روح شجرة البرقوق التي رعيتها وأحببتها لسنوات كما فعل والدك من قبل، لقد سمعت وشعرت بحزن شديد للاتفاق الذي أبرمته وتم بمقتضاه نقلي لحدائق المستشار العظيم، قد يبدو من حسن الحظ الانتماء لأسرة نبيلة المحتد وهذا شرف لي ولا يمكنني أن أشكو ولكني أشعر بالحزن لإبعادي عن المكان الذي بقيت فيه طويلاً وبعيداً عنك أنت يا من رعيتني بمنتهى الاهتمام، ألم يكن في مقدورك أن تدعني هنا لفترة أطول طالما إنني حية، أرجوك افعل ذلك».

Twitter: @ketab_n

قال لها هامبي: «لقد قطعت وعداً بأن أرسلك يوم السبت إلى المستشار العظيم في كيوتو ولكني لا أستطيع رفض رجائك لأنني أحب وجودك هنا، لا تشغلي بالك وسأرى ما يمكن أن أقوم به».

مسحت روح الشجرة دموعها وابتسمت لهامبي واختفت حيث كانت في جذع الشجرة في حين وقفت زوجة هامبي تتأمل المشهد باستغراب ولم تكن متأكدة تماماً ما إذا كان في الأمر خدعة من جانب زوجها.

وجاء يوم السبت الموعود الذي ستنقل فيه الشجرة ووصل كوتارو ومعه بعض الرجال وعربة يد.

وأخبره هامبي بما حدث وما توسلت له روح الشجرة أن يفعله.

وقال له خذ المال من فضلك وأخبر المستشار العظيم بالقصة كما ذكرتها لك وقطعاً سيتفهم الأمر.

شعر كوتارو بالغضب وقال: «كيف حدث هذا التغير؟ هل أفرطت في شرب الساكي أم تراك تحاول أن تخدعني؟ حذار مما تقول وتفعل، إنني أنبهك والا ستجد نفسك بلا رأس، وحتى لو

Twitter: @ketab_n

افترضنا أن روح الشجرة ظهرت لك في صورة فتاة فهل قالت لك إنها تشعر بالحزن لترك حديقتك الفقيرة والانتقال لمكان مشرف هو قصر المستشار العظيم؟ إنك أحمق ووقح أيضاً، كيف تجرؤ على رد هدية المستشار العظيم؟ كيف يمكن أن أفسر له لك الإهانة وماذا سيقول عني؟ إذا لم تلتزم بكلمتك فسآخذ الشجرة بالقوة أو أقتلك بدلاً من ذلك».

كان غضب كوتارو عاتياً ودفع هامبي أسفل درجات السلم واستلّ سيفه وكان على وشك قتله عندما هبت نسمة رياح خفيفة محملة برائحة البرقوق ووقفت فتاة جميلة أمام كوتارو، كانت تلك هي روح شجرة البرقوق.

وصاح بها كوتارو: «ابتعدي عن طريقي والا أذيتك».

قالت روح الشجرة: «لا لن أبتعد، اقتلني إن شئت أنا الروح التي سببت تلك المتاعب، اقتلني بدلاً من قتل هذا الرجل الفقير البريء».

قال لها كوتارو: «أنا لا أؤمن بأرواح أشجار البرقوق، من المؤكد أنك روح ولكنك روح ثعلب عجوز ولذلك سألبي طلبك وأقتلك أولاً».

Twitter: @ketab_n

وبمجرد أن قال ذلك وجه ضربة بسيفه وشعر أن الضربة أصابت جسماً واختفت الفتاة ولكن الضربة أصابت فرع بشجرة البرقوق ومعظم الأزهار المزهرة بها.

أدرك كوتارو أن البستاني كان يقول الحقيقة واعتذر له وقال: «سأحمل هذا الفرع المقطوع للمستشار العظيم وسأرى إذا كان سيستمع للقصة أم لا».

وبذلك أنقذت روح الشجرة حياة هامبي.

وسمع المستشار العظيم القصة وتأثر بها كثيراً لدرجة انه أرسل رسالة لطيفة للبستاني العجوز أخبره فيها أن يحتفظ بالشجرة والمال كتعبير عن أسفه للمتاعب التي سببها له.

ولكن للأسف ذبلت الشجرة وماتت بعد ضربة كوتارو القاسية وعلى الرغم من العناية التي أولاها لها هامبي، وظل جذع الشجرة الميت محل تبجيل لسنوات طويلة.

Twitter: @ketab_n

شجرة الكرز المربعة[1]

في العصور القديمة، وقبل وصول التحول الأوروبي السيء الذكر إلى اليابان، عاش في كاساماتسو، في ناكاساتاني، قرب شيشيكواي مورا شينجي غان، مقاطعة هيتاشي، عجوز إقطاعي حاد الطباع اسمه أودا ساييمون. كانت قلعته على هضبة مكسوة بشجر الصنوبر، وتبعد ثلاثة أميال عما يعرف بمحطة كاميتاشي على سكة حديد نيبون. وقد اشتهر ساييمون بشجاعته كجندي، ولعبه الرديء في لعبة الغو[2] ومزاجه السيء وفظاظته حين يخسر.

وقد حاول أقرب أصدقائه التابعين له تصحيح طباعه بعد خسارته في اللعبة، ولكنه لم يتوصل إلى نتيجة. كل من يفوز أمامه في اللعبة، يضربه على وجهه بمذرات حديدية ثقيلة مثل التي يحملها المحاربون القدماء. وكان يغضب لدرجة أنه يمكن أن يستل سيفه ويقطع رأس صديقه المفضل إذا تدخّل في

(1) يقال إن هذه القصة حقيقية (باستثناء ذكر الشبح). أما بالنسبة إلى تفاني أوكون، فهو نوع من التفكير الذي كان سائداً في تلك الأيام. ويمكن رؤيته في أيامنا هذه (المؤلف).

(2) لعبة آسيوية قديمة تلعب على رقعة شبيهة برقعة الشطرنج وتعتمد على التفكير الاستراتيجي مثلها (م).

Twitter: @ketab_n

هذه المواقف. وأكثر ما كان يخيف المحاربين الشجعان، هو أن يدعوهم سيدهم لمنازلته في لعبة الغو. وأخيرًا، قرروا فيما بينهم، تجنب أن يقتلوا على يديه بعد أن يهزموه، وفضلوا أن يدعوه يفوز. لم يشكل الأمر فرقًا حيث أن لا رهان مالياً على اللعبة. ولكن تراجعت طريقة ساييمون في اللعب أكثر فأكثر، لأنه لم يتعلم شيئًا. ومع ذلك، وبسبب غروره، ظل يظن أنه أفضل من الجميع.

وفي الثالث من مارس، استضاف أتباعه على مأدبة عشاء، على شرف ابنته الصغيرة الآنسة شييو. يوم الثالث من مارس، هو يوم الدمى، عندما تعرض الفتيات كل ألعابهن. ويجول الناس عادة من منزل إلى آخر للتفرّج عليها، أما المالكات الصغيرات فيقدمن شراب الساكي الأبيض الحلو في فنجان اللعبة. وبلا شك، كان ساييمون يختار هذا اليوم للولائم، ويعتبره مديحًا لابنته. فهو كان يقدم شراب الساكي الأبيض الحلو بعد الطعام، لشربه في صحة دمى ابنته، بدلاً من صحة رجاله، الأمر الذي كان يعجب المدعوين أكثر. وكان ساييمون بحد ذاته يكره شراب الساكي الحلو. لذا، وبعد انتهاء الوليمة، نادى سايتو أوكون، هو أحد أقدم محاربيه وأكثرهم وفاءً،

Twitter: @ketab_n

ليلعب معه لعبة الغو، تاركًا باقي المدعوين يشربون الساكي. لقد تغلغل الفضول في نفس أوكون، فهو لم يلعب قط مقابل سيده من قبل، وكان مسرورًا جدًا لأن الاختيار وقع عليه. لقد قرر الموت الليلة بعد أن يعلم سيده درسًا لن ينساه.

في غرفة مزينة بـترف، وضعت رقعة اللعب، بالإضافة إلى علبتين تحتوي كل منهما على المحاربين، وهم عبارة عن أحجار باللونين الأبيض والأسود. عـادة، يستلم الأحجار البيضاء اللاعب الأول في حين يستلم اللاعب الثانوي الأحجار السوداء. ومن دون اعتذار أو تفسير، أخذ أوكون العلبة التي تحوي على الأحجار البيضاء، وبدأ بصفها على اللوحة، وكأنه بلا شك اللاعب الأول.

بدأ مزاج ساييمون بالتعكر، ولكنه لم يظهر ذلك. لقد لعب مباريات كثيرة في لعبة الغو مع أتباعه الذين تركوه يفوز. وكان واثقًا من أنه سيفوز مجددًا، وسيكون على أوكون أيضًا الاعتذار لاختياره الأحجار البيضاء.

انتهت اللعبة بفوز أوكون.

Twitter: @ketab_n

قال ساييمون: «علي اللعب مرة أخرى. لقد لعبت بلا مبالاة. سأريك كيف أستطيع هزيمتك عندما أحاول ذلك».

ومرة أخرى هُزم ساييمون. ولكن هذه المرة، لم يسيطر على أعصابه، إذ احمرّ وجهه، وتطاير الشرر من عينيه، وبصوت صارخ مليء بالغضب، طالب خوض مباراة ثالثة.

وهذه أيضًا فاز بها أوكون. لا يمكن التكهن بمدى غيظ ساييمون. أمسك بمذراته الحديدية، وكان سيضرب أوكون بقوة على وجهه. ولكن أمسك به منافسه بمعصمه وقال: «يا سيدي، ما هي أفكارك حول اللعبة؟ إذ تبدو فكرتك عنها مثيرة للفضول! اللاعب الأفضل هو الذي يفوز، في حين أن اللاعب الثانوي يخسر. إن فشلت في الفوز عليّ في لعبة الغو، فهذا يعني أنك اللاعب الثانوي. هل هكذا تتقبل جلالتك الهزيمة على يد محارب، تمامًا كما تعلمنا؟ تقبل نصيحة مني، أنا تابعك الوفي، ولا تدع الغضب يسيطر عليك، فهذا لا يناسب شخصاً في مثل مكانتك». وبنظرة مليئة بالتأنيب موجهة إلى ساييمون، انحنى أوكون ولامس الأرض.

صرخ ساييمون: «أيها السافل الوقح! كيف تجرؤ على مخاطبتي بهذه الطريقة؟ لا تتحرك! ابق في مكانك، ورأسك منحن، حتى أستطيع قطعه».

Twitter: @ketab_n

واجاب أوكون: «إن سيفك هو لقتل أعدائك لا أتباعك وأصدقائك. أغمد سيفك يا مولاي، فأنت لست بحاجة إلى قتلي لأنني قد ضحيت بنفسي لأعطيك النصيحة السابقة، وحماية الباقين. انظر إلى هنا يا سيدي!». وخلع أوكون ملابسه وكشف عن جرح كبير على معدته.

وقف ساييمون لبرهة مذهولاً، وتوجه أوكون إليه بالحديث مجددًا قائلاً إن عليه السيطرة على غضبه، كما عليه معاملة الأشخاص بطريقة أفضل.

لدى سماعه النصيحة للمرة الثانية، استشاط غضبًا. استلّ سيفه، وتوجه مسرعًا إلى أوكون وقال صارخًا: «لن أسمح لنفسي بأخذ نصيحة، حتى من روحك الميتة! وتوجه بالضربة على رأس أوكون. لم يصبه، بل شطر لوحة اللعبة إلى قسمين بدلاً من ذلك. وبعد أن لاحظ أن أوكون يلفظ أنفاسه الأخيرة، انحنى إلى جانبه وقال: «أنا آسف كثيرًا لرؤيتك تموت ايها الوفي أوكون! بخسارتك سأخسر أقدم أتباعي وأكثرهم وفاءً. لقد خدمتني بوفاء مطلق وحاربت ببسالة في كل معاركي. سامحني أرجوك! سآخذ بنصيحتك. لابد من أنها إشارة من الآلهة بأنهم غير راضين عن تصرفي، عندما جعلوني أخفق في إصابة رأسك بسيفي، وإصابة لوحة لعبة الغو بدلاً منه».

Twitter: @ketab_n

ارتاح أوكون لرؤية سيده نادمًا أخيرًا. وقال له: «لن أنسى، حتى في الممات، العلاقة بين السيد والخادم، وسترافقك روحي وتسهر على راحتك طيلة أيام حياتك».

ولفظ أوكون انفاسه الأخيرة.

تأثر ساييمون بوفاء أوكـون، فأمر بدفنه في حديقته الخاصة، ودفن معه لوحة لعبة الغو المكسورة. ومنذ ذلك الحين تغير أسلوب ساييمون كلياً. فأصبح طيبًا مع كل أتباعه، وصار الشعب سعيدًا.

وبعد عدة أشهر من وفاة أوكون، نبتت من قبره شجرة كرز. وفي غضون ثلاث سنوات، نمت الشجرة وأزهرت بشكل رائع.

وفي الثالث من شهر مارس، وفي الذكرى الثالثة لوفاة أوكون، تفاجأ ساييمون برؤية الشجرة مزهرة فجأة. كان ينظر إليها، ويفكر بإروائها بنفسه، كما يفعل عادة في هذا اليوم، عندما رأى وجهًا باهتاً على جذع الشجرة. فقال: «أنا اعرفك، أنت روح الوفي أوكون». اختفى الوجه. توجه ساييمون إلى الشجرة لروي الجـذور، عندما لاحظ تحول

Twitter: @ketab_n

أقسام من جذع الشجرة إلى شكل وحجم مربعات لوحة لعبة الغو! تأثر كثيرًا. واستمر ظهور شبح أوكون في الثالث من مارس لسنوات، وحتى وفاة ساييمون.

بني سياج حول هذه الشجرة، واعتبر المكان مقدسًا. ويقال إن هذا المكان يستحق الزيارة إلى يومنا هذا.

Twitter: @ketab_n

سيف ناتوري نو هوتو

كان إدي كاموتسو تابعاً لسيد مدينة ناكورا في كيشو. وهو ينحدر من سلالة من المحاربين الشجعان، وقد تميّز هو في معركة في شيزوغاتاكي التي اتّخذت اسمها من جبل في مقاطعة أومي. حارب هيديوشي العظيم وانتصر على شيباتا كاتسوي في المكان نفسه في العام الحادي عشر من عصر تانشو الذي بدأ في العام 1573 وامتدّ حتى العام 1592، ما يجعل المعركة في السنة 1584.

كان أجداد إدي كاموتسو رجالاً أوفياء، وقد ذاع صيت واحد منهم دون غيره من المحاربين، فقد قطع رأس زهاء ثمانية وأربعين رجلاً بسيف واحد. ومع مرور الوقت، انتقل سيفه إلى إدي كاموتسو الذي احتفظ به على أنه أثمن كنوز العائلة. كان كاموتسو ما زال شاباً عندما ماتت زوجته تاركةً له ابناً اسمه فوجيواكا. شعر كاموتسو بالوحدة القاتلة بعد موت زوجته، فما كان منه إلا أن تزوّج فتاةً اسمها ساداكو، ولدت له ابناً أسمياه

Twitter: @ketab_n

غورو. بعد مرور اثنتي عشرة أو أربع عشرة سنة، مات كاموتسو تاركاً ابنيه في عهدة ساداكو، وكان فوجيواكا في التاسعة عشرة من عمره في ذلك الحين.

كانت ساداكو تحسد فوجيواكا لكونه الابن البكر وبالتالي وريث أملاك كاموتسو، فحاولت بشتى الوسائل أن تنقل الوراثة إلى ابنها غورو.

في هذا الوقت، جمع غرامٌ سريٌّ بين فوجيواكا وفتاة جميلة اسمها تاي، وهي ابنة إيوازا شيرو. وصارا يلتقيان سراً ليبوحا بما يخالج قلبيهما من عواطف حتى إنهما تبادلا نذور الزواج سراً. اكتشفت ساداكو الأمر وتحجّجت به لطرد فوجيواكا من المنزل وحرمانه من حقوقه من أملاك العائلة.

وكان في البيت مربّيةٌ مخلصةٌ اسمها ماتسوي، اهتمّت بتربية فوجيواكا منذ طفولته. وقد حزنت بشدة من الظلم الذي أصاب فوجيواكا لكنها لم تفكّر بفقدانه المال أو الأملاك بل انصبّ همّها كلّه على فقدانه السيف، ذلك السيف العجيب الذي يعود للابن المنبوذ. وانشغل بالها ليل نهار وهي تفكر بطريقة تعيد فيها السيف إلى فوجيواكا.

Twitter: @ketab_n

بعد أيام عديدة وجدت الحلّ، وقرّرت أن تسرق السيف من المذبح (وهو عبارة عن صندوق خشبي داخل الضريح، يحمل اسم الجد المتوفي، ويمثّل روحه).

ذات يوم، كانت السيدة ساداكو والآخرون خارج المنزل، فسرقت ماتسوي السيف. لكنه كان من الواضح أنها لن تتمكّن من تسليم السيف إلى مالكه الحقيقي إلا بعد مرور بضعة أشهر، وذلك لأن خبراً لم يُسمَع عن فوجيواكا منذ أن طردته زوجة والده من المنزل. خشيت المخلصة ماتسوي أن تُتّهم بالسرقة، فحفرت حفرةً في الحديقة بالقرب من الدفيئة (وهي غرفة صغيرة تبنى في حديقة اليابانيين الأغنياء ليُقدّم فيها الشاي) وطمرت فيها السيف إلى حين تتمكن من إعطائه لفوجيواكا.

في اليوم التالي، توجّهت ساداكو إلى المذبح ولم تجد السيف. فما كان منها إلا أن اتّهمت الآنسة ماتسوي بسرقة السيف كونها الخادمة الوحيدة في المنزل.

نفت ماتسوي التهمة الموجّهة إليها، فبرأيها أن ما فعلته هو ضرب من العدالة، إلا أنه لم يكن من السهل إقناع ساداكو. فأمرت هذه الأخيرة باحتجاز ماتسوي في غرفة خارجية ومنعت وصول الأرزّ أو الماء إليها حتى تعترف. لم

Twitter: @ketab_n

يكن مسموحاً لأحد بالاقتراب من مكان ماتسوي ما عدا ساداكو نفسها التي تحتفظ بالمفتاح، وكانت تزورها مرةً كل أربعة أو خمسة أيام.

مع اقتراب اليوم العاشر، كانت المسكينة ماتسوي قد تضوّرت من الجوع. لكنها أبقت على قرارها بتسليم السيف للوريث الشرعي فوجيواكا. لم يعلم أحدٌ بموت ماتسوي، ففي الليلة التي ماتت فيها، كانت ساداكو جالسةً في زاوية بعيدة من الحديقة بحثاً عن بعض النسيم المنعش في تلك الليلة الحارة.

بعد أن مرّ زهاء نصف ساعة على جلوس ساداكو في تلك الزاوية، تراءى لها فجأة طيف امرأة نحيلة منسدلة الشعر. ظهر الطيف من وراء عامود قنديل حجري، واتّجه نحو ساداكو ونظر وأخذ يحملق بها.

تعرّفت ساداكو على الفور إلى ماتسوي وراحت توبّخها على مغادرتها سجنها.

كانت تصرخ وتقول: «عودي إلى سجنك أيتها السارقة، فعقابك لم ينتهِ بعد. كيف تجرؤين على مغادرة سجنك ومواجهتي؟».

Twitter: @ketab_n

لم ينبس الطيف ببنت شفة، بل توجّه إلى المكان الذي طُمِر فيه السيف وحمله.

كانت ساداكو تراقب ما يجري، وقد كانت شديدة الشجاعة حتى إنها أسرعت إلى ماتسوي تحاول أخذ السيف منها، إلا أنه سرعان ما اختفى طيف ماتسوي مع السيف.

هرعت ساداكو إلى الغرفة حيث كانت ماتسوي مسجونة وفتحت الباب بقوّة لتجد ماتسوي ميتة، ومن الواضح أنه مرّ على وفاتها يومان أو ثلاثة وقد هزل جسمها ونحل.

علمت ساداكو أن ما رأته كان طيف الآنسة ماتسوي فراحت تتمتم نامو أميدا بوتسو، نامو أميدا بوتسو وهي كلمات صلاة بوذية لطلب الحماية والرحمة.

بعد أن طُرِدَ إدي فوجيواكا من منزله، تشرّد في أماكن عدّة متسولاً طعامه. في النهاية حصل على عمل متواضع، وتمكّن من العيش في غرفة صغيرة في معبد أوماماشي أزاكوزا.

في منتصف إحدى الليالي، استيقظ فوجيواكا ووجد طيف مربّيته الهزيلة واقفاً عند سريره حاملاً في يديه

Twitter: @ketab_n

السيف الثمين، وهو أثمن ما في الميراث. وكان السيف مغلّفاً بقماش قرمزي وذهبي كهده دائماً، فتقدّم طيف الآنسة ماتسوي ووضعه باحترام عند قدمي فوجيواكا.

قال فوجيواكا: «مربّيتي العزيزة، كم يسرّني...». وقبل أن ينهي كلامه اختفى الطيف.

أمّا عن ساداكو وابنها فلم يخبرني شيئاً راوي هذه القصّة.

Twitter: @ketab_n

إله الثعبان الأبيض

كان كارادا كوراندو واحدًا من الإقطاعيين التابعين للسيد تسوغارو. كان يبارز بالسيف بامتياز ويعطي دروسًا بالمبارزة. ويلي هارادا من حيث المرتبة، غوندايو، الذي يعطي أيضاً دروسًا بالمبارزة، ولكنه لم يكن بمستوى هارادا الشهير، وكان دائمًا يشعر بالغيرة منه.

ذات يوم، وتشجيعًا منه لفن المبارزة بين أتباعه، دعا السيد الإقطاعي كل الشعب للتجمع، وأمر بتقديم عرض بالمبارزة تكريمًا لحضوره.

بعد أن قام بالأداء أصغر مبارز، أمر الإقطاعي بأن يتبارز هارادا كوراندو وهيرا غوندايو. وقال إنه سيقدم للفائز صورة مذهبة للإلهة كوانون.

قدم المتبارزان أفضل ما عندهما، وكان ذلك مثيرًا جدًا. لم يكن أبداً أداء غوندايو جيدًا بهذا الشكل، ولكن هارادا كان ممتازًا. ففاز بالمباراة، واستلم الصورة المذهبة لكوانون من أيدي الإقطاعي.

Twitter: @ketab_n

غادر غونداپو الساحة وهو يشعر بالغيرة وبالرغبة بالانتقام. وقد غادر برفقته أربعة من المقربين إليه، وقالوا له إنهم سيساعدونه على وضع كمين لهارادا وإهانته في الليلة ذاتها. وبعد أن وضعوا خطتهم الجبانة، قرروا الاختباء على الطريق التي يجتازها هارادا للوصول إلى منزله.

وقد بقيوا هناك لمدة ثلاث ساعات وفي بالهم تزدحم شتى الأفكار الشريرة. وأخيرًا، لمحوا، في ضوء القمر، هارادا قادمًا وهو يترنح، وهذا بديهي في مناسبة كهذه، إذ أنه تناول الكثير من شراب الساكي مع أصدقائه.

انقض عليه غونداپو وأصدقاؤه، وصرخ غونداپو الآن عليك مبارزتي حتى الموت.

حاول هارادا استلال سيفه، ولكنه كان بطيئًا، وكان رأسه يدور من الشراب. لم يتروّ غانداپو ولكن ضربه وأرداه قتيلاً. وبعد ذلك، فتش المجرمون الخمسة في جيوبه إلى أن وجدوا صورة كوانون المذهبة، وهربوا، ولم يظهر لهم أثر على أراضي السيد تسوغارو من جديد.

عندما عثر على جثة هارادا، عمّ المكان حزن شديد.

Twitter: @ketab_n

وقطع يونوسوكو، ابن هارادا البالغ من العمر ست عشرة سنة، عهدًا بالانتقام لوالده، وحصل على إذن خاص من الإقطاعي، بأن يقتل غونداير في أي مكان يجده. وقد أكد اختفاء غونداير على أنه هو الذي ارتكب الجريمة.

حدد يونوسوكو يوماً للحاق بغونداير. وهام في البلاد لفترة أكثر من خمس سنوات من دون التوصل إلى أي دليل. ولكن مع نهاية تلك الفترة، وبهدي من بوذا، تمكن من تحديد مكان عدوه في مدينة جيفو، حيث كان يعمل كمدرب مبارزة في أحد أراضي الإقطاعيين.

رأى يونوسوكي أن القضاء على غونداير سيكون صعبًا بالطريقة التقليدية، حيث أنه لا يغادر القلعة قطّ. لذا، قرر أن يغير اسمه إلى إيباي، وأن يتقدم بطلب السكن في منزل غندايو، على أنه شوغن(أي تلميذ محارب).

كان إيباي محظوظًا، إذ إن غندايو كان بحاجة إلى خادم، فحصل على المكان.

كان يوم الرابع والعشرين من شهر يونيو، يومًا احتفاليًا في منزل غندايو، وهي مناسبة السنة الخامسة لخدمته في الجماعة.

Twitter: @ketab_n

وقد وضع صورة كوانون المذهبة في توكونوما(جزء من الحجرة اليابانية، يكون مرتفعًا خمسة إنشات عن الأرض، حيث توضع الصور والورود)، وقد تم تحضير العشاء وشراب الساكي قبل ذلك. قدم غندايو وليمة عشاء على شرف أصدقائه، وكلهم شرب حتى الثمالة حتى استسلموا للنوم.

في اليوم التالي، اختفت صورة كوانون. لم يظهر لها أثر. وبعد بضعة أيام، مرض إيباي، وبسبب فقره لم يتمكن من شراء الدواء المطلوب. وصارت حالته تزداد سوءًا. ورغم طيبة زملائه الخدم معه، إلا أنهم لم يستطيعوا القيام بشيء لتحسين حالته. لم يبد على إيباي المبالاة بصحته. كان ممددًا في سريره ويبدو راضياً عن تدهور حالته من سيء إلى أسوأ. كل ما كان يطلبه، هو أن يضعوا غصنًا من نبتة الأوموتو في إناء قبالة سريره ليتمكن من رؤيتها على الدوام. وقد لبي طلبه هذا.

في فصل الخريف، فارق إيباي الحياة بهدوء، وجرى دفنه. وبعد الجنازة، وبينما الخدم ينظفون الغرفة التي توفي فيها، دهشوا لوجود أفعى بيضاء صغيرة ملفولة حول الإناء الذي يحوي نبتة الأوموتو. حاولوا إزالتها، ولكنها التفت عليه بشدة. في نهاية الأمر قاموا برمي الإناء في البركة غير مبالين.

Twitter: @ketab_n

وقد دهشوا اكثر حين رأوا أن الماء لم يؤثر على الأفعى، بل ازدادت تشبثاً بالإناء. بعد أن شعروا أن أمر هذه الأفعى مريب، أرادوا التخلص منها وإبعادها قدر المستطاع. لذا، ألقوا بشبكة والتقطوا الإناء والأفعى، ورموهما في النهر. حتى ذلك لم يحدث فرقًا، فقط غيرت الأفعى تموضعها لتمنع غصن الأوموتو من السقوط من الإناء.

في هذا الحين، انتشر الرعب بين الخدم، وذاع الخبر في بيوت القلعة المختلفة. أتى بعض المحاربين لرؤية ما يجري، ورأوا الأفعى متمسكة بالإناء وبالغصن. استلّ أحد المحاربين سيفه وضرب الأفعى، فأفلتت الإناء وفرت. ولكن الإناء انكسر. وقد دهش الجميع برؤية صورة كوانون تقع في النهر، إضافة إلى إذن مختوم من قبل سيد تسوغارو الإقطاعي، يسمح بموجبه بقتل رجل معين، ولكن بقي مكان الاسم بقي فارغًا.

بدا المحارب الذي كسر الإناء ووجد الكنز، سعيدًا جدًا، وهرع لإخبار غندايو بالنبأ. ولكن، بدلًا من أن يكون سعيدًا، بدت ملامح الخوف عليه. وتغير لون وجهه حين سمع بقصة موت إيباي، وظهور الأفعى الغريب.

Twitter: @ketab_n

وراح يرتعش من الخوف. واستنتج أن إبياي لم يكن سوى يونوسوكي، ابن هارادا، الذي كان دائم الخوف من ظهوره بعد ارتكاب الجريمة.

وبالرغم من ذلك، استجمع غندايو روح الساموراي فيه، وأبدى سرورًا بالغًا للشخص الذي أعاد صورة كوانون. ولكن، لسخرية القدر، مرض فجأة الساموراي الذي كسر الإناء واستعاد الصورة ولم يستطع الحضور.

بعد أن صرف أصدقاءه زهاء الساعة العاشرة ليلًا، توجه إلى سريره. وفي منتصف الليل استفاق على كابوس رهيب. وكان يحس بشعور غريب في حلقه، وبدأ يتلوى في سريره، ويصدر أصواتاً غريبة لدرجة أن زوجته أفاقت، وأشعلت الضوء لشدة خوفها. ورأت أفعى بيضاء تشدّ الخناق على عنق زوجها، وقد تحول لون وجهه إلى البنفسجي، وجحظت عيناه.

نادت للحصول على المساعدة، ولكنها تأخرت. فحين وصل المحارب، وجد سيد المبارزة مسودّ الوجه ميتًا.

Twitter: @ketab_n

في اليوم التالي، بدأ التحقيق. وقد تم إيصال الخبر إلى سيد تسوغارو، للتحقق من قصة جريمة هارادا كوراندو، والد يونوسوكي، أو إيباي، وعن غندايو، الذي كان موظفًا عنده لخمس سنوات. بعد أن تأكد من الحقيقة، تأثر السيد جيفو بتصميم يونوسوكي على تحمل واجباته العائلية، وأعاد صورة كوانون المذهبة إلى عائلة هارادا الشهمة. ولهذه الذكرى، بنى مزاراً للأفعى الميتة على سفح جبل كودایاما. وهذه الروح ما زالت تعرف بهاكوجا أو ميوجين، الإلهة الأفعى البيضاء.

Twitter: @ketab_n

مهرجان سمكة الأوابي

تقع مانازورو – ميناتو على لسان صخري صغير يحمل الاسم نفسه. وهي تواجه خليج ساغاما، المشهور بجماله. وخلفها ترتفع الجبال تدريجيًا وهي مغطاة بأشجار الفوجي الملوكية. وتمكن، من جهة شمال، في الأيام الصافية، رؤية شوطئ كوزو وأويزو الرملية التي تبعد خمسة وعشرين ميلًا، والتي تبدو في متناول اليد. لقد شبه بعض الناس جمال مانازورو – زاكي، من القمة إلى النهر، بمكان في الصين يعرف بسيكيهيكي الذي تغنى به شعراء البلد، مثل سوتوبا، الذي كتب سيكيهيكي نو فو أي قصيدة غنائية لسيكيهيكي.

منذ عدة سنوات، وبعد خسارته في معركة إيشيباشياما، فر ميناموتو – نو – يوريتومو إلى مانازورو – ميناتو، وبقي هناك عدة أيام حتى يتحسن الطقس ليصل إلى الجهة الأخرى، إلى إقليم آوا. قيل لي إنه بالإمكان رؤية الكهف حيث اختبأ، والذي حمل اسمه، شيتوتو – إيوا. إن المشهد على الساحل رائع جدًا. تمتد هذه الصخور على

Twitter: @ketab_n

طول البحر لتشكل خليجًا صغيرًا في الجهة الداخلية لجبل مانازورو زاكي. وقد بنى صيادو السمك مزارًا يدعى كيبون جينجا، حيث كانوا يقدمون ثناءهم للآلهة التي ترعى صيد قواربهم. لم يشتكوا من أي شيء في خليج مانازورو. فالمياه عميقة، ومليئة بالأسماك مثل التاي، وفي موسم الصيد تأتي أسماك ساوارا (سمك إسقمري كبير)، وكل الأسماك الصغيرة المهاجرة بما فيها أسماك السردين والبَلَم. ولم يكن لجهم سبب للشكوى، إلى أن حدث أمر ما منذ أربعين عامًا.

في الرابع والعشرين من شهر يونيو، أتى رجل من منطقة داخلية، عن طريق السباحة. لم يكن يستطيع السباحة، فغرق في اليوم الأول. لم يعثر على جثته، بالرغم من الجهد الذي بذله الصيادون. ومنذ هذا الحدث، ولمدة سنتين كاملتين، تراجع فيض صيد الأسماك في الخليج أكثر فاكثر، حتى أصبح من الصعب صيد أسماك للطعام. وبات الوضع خطيرًا إلى أقصى حد.

وقد عزى الصيادون الكبار التغيير إلى الغريب الذي غرق.

وقالوا: «إن التغيير في مياهنا المقدسة يعود إلى جثته التي لم تُنتشل. ولابدّ من أن دنس الماء يهين الإلهة غو غان هيم. لن ينجح الأمر إن استمررنا على هذه الحال. علينا التحضير لمهرجان مميز في معبد كيبون جينجا».

Twitter: @ketab_n

وبناء على ذلك، اقترحوا الموضوع على رئيس الكهنة، إيواتا. فأعجبته الفكرة كثيرًا، وعُيّن نهار الاحتفال.

في الليلة المحددة، تجمع مئات الصيادين، حاملين المشاعل في يد، وفي اليد الأخرى شيرايو أو أوراق غوهي[1] المربوطة على جذع القصب. شكلوا المواكب وتقدموا باتجاه المزار من عدة جهات وهم يدقون على النواقيس. في المعبد قرأ الكاهن مقاطعًا من الكتاب المقدس، وصلّى للآلهة، التي سهرت عليهم في أوقات الصيد، ألا تتركهم لأن مياههم قد دنست بالجثة. وتعهدوا بالبحث عنها بكل الوسائل لينظفوا الخليج.

فجأة، وفي حين كان الكاهن يصلي، لمع من وسط المياه ضوء قوي، لدرجة أنه كاد يعمي بصر الصيادين. توقف الكاهن لبرهة، وسُمع صوت هادر في قعر البحر، وظهرت على سطح الماء إلهة في غاية الجمال (على الأرجح هي كوانون غيوران). حدقت في الاحتفال المقام على الشاطئ لمدة ساعة كاملة، ثم اختفت تاركة وراءها هدير الموج.

(1) أوراق غوهي هي رمز شينتو، تمثل هدايا من الملابس مقدمة إلى الآلهة، عادة مقدمة إلى الالهة كامي. يقول بعضهم إن غوهي تمثل، في اعتقادهم، كامي يضرب على الناقوس المستعمل للعبادة (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

ناقش الكاهن وكبار الصيادين المسألة، وتوصلوا إلى أن ما رأوه كان إلهتهم بالتأكيد، وإنها كانت سعيدة بالمراسم. واعتقدوا أيضًا أن الجثة موجودة يقيناً في قعر الخليج، بالتحديد تحت البقعة التي ظهر فيها الضوء والإلهة. فوقع الاختيار على فتاتين عذراوين يمكنهما الغطس، لكي يرسلا إلى البقعة لتفتيش المكان. والفتاتان المختارتان هما، ساوتوم وتاماجو. وبعد أن دثرتا بالأبيض، أخذتا بالمركب إلى الموضع الذي ظهر فيه الضوء والإلهة. غطست الفتاتان، ووصلتا إلى القعر، وبحثتا عن جثة الرجل الذي غرق قبل سنتين. وبدلًا من إيجاده، رأتا ضوءً صغيرًا باهرًا قادهما بشكل غريب إلى موقع وجدتا فيه مئات الأصداف المتراكمة على صخرة يبلغ ارتفاعها ستة أقدام، ويبلغ طولها خمسة وعشرين أو ثلاثين قدمًا. وأينما توجهت السمكة، كانتا مجبرتين على رفع أصدافها، والذي جذب انتباه الفتاتين، هو لمعان اللآلئ داخلها. لابد من أن الصخرة هي قبر الغريق، أو هي منزل الإلهة.

عادت ساوتوم وتاماجو إلى سطح المياه، وقد جلبت كل منها صدفة كبيرة من الصخرة لتريها إلى الكاهن. وعند

Twitter: @ketab_n

وصولهما إلى الشاطئ، سمعت الهتافات على شرفهما، وتجمع الكاهن والصيادون حولهما.

وبعد تعرفهم على أصداف أوابي، التي لم يُسمع بأنها موجودة في الخليج، توصلوا إلى أن الدنس هو ما نفّر الأسماك. ولابد من أن يكون السبب هو الضوء الصادر من الصدفة واللؤلؤة داخلها. لمرات عدة، سمعنا عن طيران الأوابي. لابد من أنها أتت إلى هنا مرة في خلال هاتين السنتين. اتفق الصيادون على أن يزيلوها. كان من الواضح أن الإلهة ظهرت في الضوء لتريهم ما الذي كان يبعد الأسماك.

لم يضيعوا الوقت. نزل مئات من الرجال والنساء إلى المكان ونظفوا المكان، وبدات الأسماك بالعودة إلى مانازورو ميناتو.

وفي الرابع والعشرين من شهر يونيو من كل عام، كما اقترح الكاهن إيواتا، يقام المهرجان. فيشعل الصيادون المشاعل ويتوجهون إلى المزار للصلاة طوال الليل. هذا ما يُسمى بـ مهرجان أوابي في كيبون.

Twitter: @ketab_n

روح الصفصافة التي أنقذت شرف العائلة

منذ وقت طويل، في قرية ياماداً، في ساراشيماغن، في منطقة شينانو، عاش رجلٌ من أكثر الأشخاص ثراءً، في المنطقة الشمالية من اليابان. امتد الثراء في هذه العائلة إلى عدة أجيال حتى تراجعت الثروة في الجيل الثامن والثلاثين وصولاً إلى غوبي يوازا. لم تكن هذه العائلة تملك الكثير، ولكن الناس كانوا يعاملونهم باحترام بسبب منزلهم ذي الطابع الأميري. حتى إن الفتيان في الشارع، الذين لم يكن يُسمح لهم بمنح الإطراء أو ألقاب الاحترام، اعتادوا الانحناء بشكل رسمي كلما قابلوا غوبي يوازا الذي كان يتمتع بروح طيبة، ويتعاطف مع كل الذين يواجهون المتاعب.

كانت الأملاك التي ورثها غوبي مالًا وعقارات، ولكنه لم يعرها أي اهتمام. كان من الصعب إيجاد رجل يجهل أكثر من غوبي بأمور التجارة. فقد اعتاد أن ينفق كل ماله من دون تفكير، وعندما يأتي الوقت لمعالجة أموره المالية، تحلّ ببساطة بسبب طبيعته السهلة. وقد تمثلت كبرى ملذاته في الرسم الياباني

Twitter: @ketab_n

على الحرير، والتحدث إلى أصدقائه، وتناول المأكولات الشهية. وقد أمر خادمه بعدم إقلاق راحته بأمور الحسابات المالية، وبأي مواضيع مزعجة أخرى. كان يقول: «إن قضاء الإنسان وقدره تقررهما الآلهة». كان غوبي يلقى تقديرًا كبيرًا كرسّام، وكان باستطاعته كسب مبالغ طائلة عبر بيع رسوماته الحريرية. ولكن ذلك لم يكن مناسبًا لمقام أجداده واسمه.

وذات يوم، وبينما الأمور تتجه من سيء إلى أسوأ، كان غوي جالسًا في غرفته يرسم، حين جاء صديقه للتحدث معه. أخبره أن سكان القرية بدأوا يتكلمون بجدية عن الروح التي رآها ثلاثة منهم على الأقل. في البداية، سخروا من الرجل الذي رأى الشبح ومالوا إلى أخذ الموضوع بخفة حين رأى الرجل الثاني الشبح. ولكن الآن، فقد رآه أحد كبار القرية، فلم يعد من مجال للشك.

سأل غوبي: «أين تمكن رؤيته؟».

«يقولون إنه يظهر تحت شجرة الصفصاف التابعة لك، لكن بين الساعة الحادية عشرة والثانية عشرة ليلاً، إنها الشجرة التي تمتد أغصانها خارج حديقتك، وتطل على الشارع».

Twitter: @ketab_n

أجاب غوبي: «هذا غريب، لا اذكر أنني سمعت عن جريمة ارتكبت تحت الشجرة، أو عن ترابط روحي مع أي من أجدادي. ولكن لابد من وجود شيء ما، طالما رآه ثلاثة من أهل البلدة. ولكن أينما وجدت شجرة صفصاف، فلابد من أن يقول أحدهم آجلاً أم عاجلاً إنه رأى شبحًا. إن كانت هناك روح، فمن هي يا ترى؟ أود رسم هذا الشبح إن استطعت رؤيته، لأترك الرسم لأحفادي على أنه آخر علامة شؤم على الدرب التي أدت إلى زوال العائلة. سأبذل جهدي لتحقيق ذلك. هذه الليلة بالذات، سأجلس وانتظر هذا الشيء».

لم يشعر غوبي بهذه الطاقة من قبل. صرف صديقه وأخلد إلى النوم من الساعة الرابعة بعد الظهر، ليتمكن من الاستيقاظ في الساعة العاشرة. في هذه الساعة، أيقظه خادمه، غير أنه لم يتمكن من النهوض قبل الحادية عشرة. وعند الثانية عشرة، في منتصف الليل تماماً، كان غوبي قد وصل أخيرًا إلى الحديقة واختبأ في الأجمة المواجهة للشجرة. كانت ليلة صافية، ولم يظهر أي شبح إلا بعد الساعة الواحدة، عندما صادف مرور الغيوم أمام القمر. وبينما يفكر غوبي بالعودة إلى النوم، لاحظ عامود دخان أبيض يرتفع عن الأرض تحت شجرة الصفصاف، وقد ارتسم أمامه تدريجياً شكل فتاة جذابة.

Twitter: @ketab_n

حدق غوبي بذهول. لم يخطر بباله أن رؤية الشبح قد تكون جميلة. فقد كان يتوقع رؤية امرأة عجوز مسعورة، نافرة العظام، أي مشهدًا يجمد العظام من الخوف، ويجعل أسنانك تصطك.

تدريجيًا، اقتربت من غوبي، ومدت رأسها كأنها أرادت مخاطبته.

صرخ غوبي: «من وماذا أنت؟ تبدين جميلة جداً لتكوني شبح أحد الأموات. إن كنت شبحاً، أرجوك قولي لي، وروح من أنت، ولمَ تظهرين تحت شجرة الصفصاف هذه؟».

أجابت الروح: «أنا لست روحاً أو شبح أحد كما تقول، أنا شبح شجرة الصفصاف».

«إذن لمَ تغادرين الشجرة الآن، فكما قيل لي، قمت بذلك عدة مرات في الأيام العشرة الأخيرة».

«أنا كما أقول لك، روح هذه الصفصافة، التي زُرعت في الجيل الحادي والعشرين من عائلتك. وذلك قبل ستة قرون ماضية. لقد زرعت كعلامة للمكان الذي دفن فيه أجدادك كنزًا على عمق عشرين قدمًا تحت الأرض، وعلى بعد خمسة عشر قدمًا من جذعي باتجاه الشرق. هناك مبلغ كبير من الذهب في

Twitter: @ketab_n

صندوق حديدي مخبأ في ذلك المكان. وقد دفن المال بهدف إنقاذ منزلك عندما يؤول إلى السقوط. لم يتعرض للخطر قطّ من قبل، إلى اليوم. ولكن الآن، في عهدك، حلت البلية، وحان دوري لكي أتقدم وأخبرك كيف أن تبصّر أجدادك حماك من إلحاق العار بعائلتك عبر إعلان إفلاسك. أرجوك، أَخرج هذا الصندوق وأنقذ اسم عائلتك ومنزلك. ابدأ بأسرع وقت ممكن، وتنبه إلى المستقبل».

وبعدها اختفت.

عاد غوبي إلى منزله، بعد أن صدق بصعوبة أنه من الممكن أن يواجه حظًا جيدًا، بسبب حكمة أجداده، كما قالت روح شجرة الصفصاف. لم يخلد إلى النوم. جمع بعضًا من خدمه الأوفياء، وبدأوا الحفر مع بزوغ الفجر. وقد دهشوا حين وصلوا إلى عمق تسعة عشر قدمًا وضربوا غطاء الصندوق الحديدي! قفز غوبي من الفرح، ويمكن القول إن خدمه شاركوه هذه الفرحة، لأن رؤية اسم سيدهم يتلطخ بالعار، قد يؤدي إلى التضحية ببعض منهم.

حفروا بكل قواهم حتى أخرجوا الصندوق الثقيل من الحفرة. كسروا الأقفال بالفؤوس. ورأى غوبي مجموعة من الأكياس القديمة. أخذ واحدًا منها، ولكنها كانت قديمة جدًا

Twitter: @ketab_n

ومهترأة. تمزقت وبدأت بإفراغ مئات القطع الذهبية المستطيلة الشكل، والعائدة إلى العصر القديم، والتي تساوي الكثير. ارتجفت يد غوبي يوازا. بالكاد كان يستطيع تصديق الثروة التي حصل عليها. وتم رفع كيس تلو الآخر، حتى وصلوا إلى قعر الصندوق، فوجدوا رسالة تعود إلى ستمئة عام، تقول: «إن الشخص المتحدر من نسبي، الذي يضطر إلى استعمال هذا الكنز لإنقاذ سمعة عائلتنا، سيقرأ بصوت عال ليعلم الجميع أن هذا الكنز قد دفنه فوجي يوازا، من الجيل الحادي والعشرين من هذه العائلة، بهدف الاتكال عليه لإنقاذ اسم عائلتنا في أوقات الحاجة والخطر، التي قد تواجه الأجيال القادمة. والذي يدعوه الحظ السيء إلى استعمال الكنز، عليه التصريح: «أنا آسف كثيرًا على العمل الأحمق الذي أدى إلى تدهور وضع عائلتنا، وأدى إلى اللجوء إلى مساعدة أجدادنا. أستطيع رد هذا الجميل بالانتباه فحسب إلى أعمال العائلة، وأن أظهر التقدير، وأن أعامل باحترام شجرة الصفصاف التي رعت كنز أجدادي وسهرت عليه كل هذه الفترة. أتعهد بالقيام بهذه الأشياء. سأقوم بإصلاح نفسي كليًا».

Twitter: @ketab_n

قرأ غوبي يوازا ذلك أمام خدمه وأصدقائه. أصبح رجلاً قوياً الآن. أما أراضيه ومزارعه، فقد بدأ يعتني بها، واستعادت عائلة غوبي مركزها المرموق والمؤثر.

رسم غوبي على الحرير روح شجرة الصفصاف كما رآها، وأبقاها في غرفته لبقية حياته. إنها الرسمة الشهيرة الموجودة في حدائق يوازا اليوم، والتي تُدعى شبح الصفصاف، وربما تشكل الإلهام الذي استوحى منه كل الذين رسموا أشباح شجرة الصفصاف.

حمى غوبي نفسه بشجرة الصفصاف الشهيرة هذه، وقام بالاهتمام بها بنفسه، كما فعل كل من جاء من بعده.

Twitter: @ketab_n

مقبرة شجرة الكافور

على بعد عشرة أميال من شيراكاوا، في مقاطعة إيواكي، تقع قريةٌ اسمها يابوكي مورا، وبالقرب منها بستانٌ مساحته أربعمئة قدم مربّع تغطّيه الأشجار، وفيه شجرة كافور عتيقة يفوق طولها المئة وخمسين قدماً، ويعتبرها أهل القرية والغرباء عنها إحدى أعظم أشجار اليابان. وقد شُيِّدَ لها مزارٌ في البستان الذي يعرف بغابة نيكوما ميوجين، وكان يعيش في ذلك البستان شيخ اسمه هامادا تسوشيما يعتني بالشجرة والمزار والبستان كلّه.

وذات يوم، قُطِعَت الشجرة، لكنها لم تيبس ولم تمت، بل بقيت تكبر وتُزهِر ممدّدةً على الأرض. مسكين هامادا تسوشيما فقد انتحر لمعرفة أن الشجرة قُطِعَت. وقد يكون دخول روحه الشجرة هو ما أبقاها حيةً، إليكم القصّة:

في السابع عشر من يناير في السن الثالثة والأخيرة من عصر ميرايكي، أي في العام 1658، اندلع حريق هائل في معبد هوميو جي، في مقاطعة مارويامَا هونغو في ييدو المعروفة بطوكيو

Twitter: @ketab_n

اليوم. امتدّ الحريق بسرعة فائقة حتى احترق جزء كبير من يِيدو، ودُمّر الكثير من منازل الإقطاعيين وقصورهم. وقد أتت النيران على المنازل والقصور السبعة التي تعود للإقطاعي في سندائي السيد دات تسونامون، وهو أحد أهم الإقطاعيين في حين أن الإقطاعيين الآخرين لم يخسروا سوى منزل أو اثنين.

قرّر السيد دات تسونامون بناء أفخم قصر على الإطلاق، وأراده أن يكون في شينزانزا في شيبا. أمر بأن يبدأ العمل على بناء القصر فوراً وعيّن أحد أعيان هارادا كاي ناونوري مشرفاً على أعمال البناء.

فما كان من هارادا إلا أن أرسل بطلب أحد أهم المقاولين في ذلك العصر وهو كينوكونيا بونزايمون وقال له: «لابدّ من أنك علمت أن النيران التهمت منازل السيد دات تسونامون كلّها، وقد جئت إليك من أجل بناء أفخم قصر للحاكم، لا مثيل له في أي مكان. جئت إليك لأنه قيل لي إنك أفضل المقاولين في يِيدو، فكيف ستساعدني؟ اقترح عليّ بعض الأفكار وأعطني رأيك».

أجاب المقاول: «بالتأكيد يا سيدي، لديّ الكثير من الأفكار أقترحها عليك، لكن بناء قصر مماثل سيكلّف أموالاً طائلة، خاصةً الآن وقد ندرت الأخشاب بعد نشوب بعد هذا الحريق».

Twitter: @ketab_n

قال هارادا: «لا تقلق بشأن المال، سأدفع لك متى تريد وكما تريد، كما يمكنني أن أدفع لك مسبقاً إن أردت».

أجاب المقاول مسروراً: «حسناً إذن، سأبدأ العمل على الفور، ما رأيك بقصر كقصر كينكاكوجي في كيوتو، ذلك القصر الذي بناه الحاكم أشيكاغا؟ سأبني لك قصراً أفخم من قصر الحاكم الحالي، ومن الإقطاعيين كلّهم. ستكون الرفوف مصنوعة من أكثر أنواع الخشب ندرةً، واللوحات الخشبية من أفضلها، أما السقف فمن ألواح شجر الكافور، لذلك سيتعيّن علينا إيجاد شجرة ضخمة. في الواقع يمكنني الحصول على الأخشاب كلّها ما عدا خشب أشجار الكافور، فهي نادرة وغالبيتها مقدّسة، ومن الخطر قطعها. إلا أنني أعرف أن في غابة نيكوما ميوجين في مقاطعة إيواكي شجرة كافور كبيرة، وإن حصلت على هذه الشجرة فسأتمكن من بناء السقف، ويكون بذلك قصرك أجمل القصور والمنازل».

قال هارادا: «حسناً سأوكل هذه المهمّة إليك وسأعطيك ما تحتاج إليه من المال شرط أن تنهي القصر في أسرع وقت، تلبيةً لرغبة السيد دات تسونامون».

Twitter: @ketab_n

انحنى المقاول احتراماً وقال إنه سيقدّم أفضل ما بوسعه، ثم غادر، مسروراً من دون شك، بالصفقة التي عقدها إذ أنها ستعود عليه بثروة طائلة. راح يبحث في كلّ مكان عن أشجار الكافور ويسأل الناس عن أماكن تواجدها، وقد أصبح على قناعة في النهاية أن شجرة الكافور الوحيدة هي تلك الضخمة التي ذكرناها سابقاً. علم كينوكونيا أيضاً أن هذه الشجرة موجودة في المقاطعة الخاضعة لحكم فوجيدا جيكي، الذي أصبح وكيلاً للحاكم في مقاطعة ييدو، يحصد مئات الأطنان من الأرزّ سنوياً، لكنه لم يكن يملك الكثير من المال الذي كان دائماً بحاجة إليه.

استعلم كينوكونيا عن الرجل ثم ذهب إليه.

قال له فوجيدا: «أعتقد أن اسمك كينوكونيا بانزايمون. هل لي أن أسألك ماذا تريد منّي؟».

انحنى المقاول وقال: «صحيح يا سيدي، اسمي كينوكونيا بانزايمون وأنا مقاول أخشاب أعتقد أن حضرتكم سمعتم عنّي، فقد بنيت العديد من المنازل والقصور. جئت إليكم أطلب منكم الإذن بقطع الأشجار في غابة نيكوما ميوجين الصغيرة، بالقرب من قرية يابوكيمورا في مقاطعة سندائي».

Twitter: @ketab_n

لم يخبر المقاول وكيل الحاكم فوجيدا جيكي أنه يبني قصراً للإقطاعي دات تسونامون وأن الحطب الذي يريد قطعه سيذهب لبناء هذا القصر، لأنه يعلم جيداً أن اللورد دات ما كان ليسمح له أبداً بقطع شجرة مقدّسة، فكان من الأفضل له أن يطلب مساعدة وكيل الحاكم ومن ثم يطالب بالمال كاملاً من الإقطاعي. فأكمل وقال: «إن الحريق الهائل الذي اندلع يا سيدي قضى على سوق الأخشاب. إن ساعدتني بالحصول على مبتغاي، سأبني لك منزلاً جديداً من دون مقابل، وبداعي التقدير والامتنان، أرجو أن تقبل منّي هذا المبلغ الصغير وهو ليس سوى البداية».

أخذ الوكيل المال مسروراً وقال للمقاول: «لا تشغل بالك بهذه الأمور الصغيرة. سأرسل أربعة رجال من المقاطعة إلى الغابة التي تريد قطع الأشجار منها، وسأبلغك عندما يصلون إلى بيدو وستتمكن معهم من القيام بعملك».

غادر المقاول وهو مطمئنٌ إلى أنه سيحصل على الأشجار التي طلبها، كما أن الوكيل المحتاج إلى المال كان أيضاً مسروراً بحصوله على المال من دون القيام بأي جهد، وبوعد المقاول ببناء منزل له من دون مقابل.

Twitter: @ketab_n

بعد زهاء عشرة أيـام، وصل الرجال من القرية إلى يبدو وقصدوا فوجيدا الذي أرسلهم إلى مقاول الأخشاب، بعد أن عبّر للرجال الأربعة موزوكي وماغوزايمون ويوهاي جينيامون عن سروره بلقائهم، وتقديره لوفائهم للحاكم الذي أراد أن يبني له قصراً بدلاً من ذلك الذي التهمته النيران ولا يحتاج سوى للأخشاب. قال فوجيدا للرجال الأربعة: «قال لي المقاول الكبير الذي أرسلكم إليه إن الخشب الوحيد الملائم لبناء قصر الحاكم موجود في مقاطعتكم. أنا شخصياً لا أعرف شيئاً عن التفاصيل وسأدعكم تناقشون المسألة مع المقاول كينوكونيا حالما يصل، فقد أرسلت بطلبه. إلى ذلك الحين، أرجو منكم أن تتفضّلوا بتناول الطعام الذي حُضِّر على شرفكم. تفضّلوا إلى المائدة».

قاد فوجيدا الرجال الأربعة إلى غرفة الطعام وتناول الغداء معهم إلى حين وصل المقاول كينوكونيا وأُرشِدَ إلى غرفة الطعام، وقد كان الرجال الأربعة ووكيل الحاكم على وشك الانتهاء من تناول الطعام.

قدّم فوجيدا المقاول للرجال الأربعة، فتوجّه إليهم المقاول قائلاً: «أيها السادة، لا يمكننا مناقشة هذه المسألة هنا في منزل السيد فوجيدا وكيل الحاكم. الآن وقد تعرّفنا إلى بعضنا بعض،

Twitter: @ketab_n

اسمحوا لي أن أدعوكم إلى العشاء لأقول لكم ما أريد تحديداً من أشجار مقاطعتكم. بالتأكيد أنتم تعرفون أن عائلتي قريبة من الإقطاعيين أيضاً، وهذا يجلنا جميعاً متساوين».

سُرّ الرجال الأربعة بتلك الضيافة الكريمة، فوجبتان في يوم واحد هما بمثابة تبذير بالنسبة إليهم خاصةً وأنهما في بيدو! بالتأكيد لن تصدّق زوجاتهنّ ما سيخبرونهنّ به عند عودتهم إلى القرية.

اصطحب كينوكونيا الرجال الأربعة إلى مطعم كامبانارو في ريوغوكو، وكان مضيافاً أيما ضيافة. بعد أن تناولوا العشاء قال لهم: «أيها السادة، أرجو أن تسمحوا لي بقطع الأخشاب من الغابة في قريتكم، لأنه يستحيل عليّ بغير ذلك أن أبني القصر».

أجاب موزوكي وهو كبير الرجال الأربعة: «بالتأكيد يمكنك قطع الأخشاب، إن كان الحاكم بحاجة للأخشاب من غابة نيكوما ميوجين فلابدّ من أن تُقطع الأشجار، وأنا أعتبر ذلك أمراً من الحاكم. لكن عليّ أن أذكّرك أن شجرةً واحدة يستحيل قطعها مهما كانت الظروف، وهي شجرة الكافور الضخمة المقدّسة، وفي الواقع هذه الشجرة مبجّلةً في مقاطعتنا وقد شُيِّدَ مزارٌ خاص بها. لا يمكننا الموافقة على قطع هذه الشجرة».

Twitter: @ketab_n

قال المقاول: «حسناً إذن، اكتبوا لي إذناً يسمح لي بقطع أي شجرة ما عدا شجرة الكافور الضخمة وأكون لكم شاكراً».

كان كينوكونيا في المساء قد عرف أن الرجال الأربعة لا يجيدون الكتابة.

أجاب موزوكي: «بالتأكيد، من فضلك اكتب له الإذن يا جينيامون».

أجاب جينيامون: «أفضّل أن تكتبه أنت يا ماغو».

قال ماغو: «من الأفضل أن يكتبه يوهاي».

فأجاب يوهاي: «لا يمكنني أن أكتب الإذن، وعاد الدور من جديد لجينيامون».

فقال كينوكونيا: «حسناً لا داعي للقلق، هلا توقعون أيها السادة على الإذن إن كتبته بنفسي؟».

وافق الجميع على ذلك، فقد كان ذلك الحلّ الأفضل للجميع، ثم وقّعوا على الإذن، وبعد سهرة ممتعة غادروا مسرورين.

Twitter: @ketab_n

أمّا كينوكونيا من جهته فقد عاد إلى منزله فرحاً أيما فرح بالصفقة التي عقدها. ففي جيبه إذنٌ موقّعٌ بقطع الأشجار، وقد كتبه بنفسه وبالطريقة التي تناسبه. وكان كلما تذكّر الطريقة التي احتال بها على الرجال الأربعة ضحك في سرّه.

في صباح اليوم التالي، أرسل كينوكونيا كبير عمّاله شوغورو وعشرة أو اثني عشر رجلاً إلى الغابة، وقد استلزمهم الوصول إلى قرية يابوكي مارا بالقرب من غابة نيكوما ميوجين ثلاثة أيام. وفي صباح اليوم الرابع، وصلوا إلى الغابة وبدأوا بوضع سقالة حول شجرة الكافور لكي يتمكّنوا من قطعها بفؤوسهم بشكل أفضل. وما إن بدأوا بقطع الأغصان الصغيرة حتى أسرع حارس المزار هامادا تسوشيما إليهم.

قال لهم: «ماذا تفعلون؟ كيف تقطعون شجرة الكافور المقدّسة؟ اللعنة عليكم! هل تسمعونني؟ توقفوا فوراً!».

أجاب شوغورو: «لا يمكنك أن تطلب من عمّالي التوقف عن قطع الشجرة، فهم ينفّذون الأوامر، وقد حصلوا على الإذن بفعل ذلك. أنا أقطع الشجرة بناءً على أمر من سيدي كينوكونيا، مقاول الأخشاب، وقد حصل على الإذن بقطع الشجرة من أربعة رجال قصدوا بيدو من هذه المقاطعة».

Twitter: @ketab_n

قال الحارس: «أعرف ذلك، لكن الاذن الذي حصلتم عليه يخوّلكم قطع أي شجرة ما عدا شجرة الكافور المقدّسة».

أجاب شوغورو: «أنت مخطئ، اقرأ الاذن بنفسك. أخذ الحارس الإذن وقرأ بذهول:

إلى كينوكونيا بانزايمون،

مقاول الأخشاب، ييدو.

بهدف بناء قصر جديد للحاكم، يُمنَع قطع أشجار الكافور، ما عدا شجرة الكافور الضخمة التي يقال إنها مقدّسة في غابة نيكوما ميوجين. وفي ما يلي أسماء الشهود.

موزوكي، ماغوزايمون، يوهاي، جينيامون- ممثّلو القرية».

حزن الحارس لما قرأ وما كان منه إلا أن أرسل بطلب حضور الرجال الأربعة المذكورين. عند وصول الرجال الأربعة، صرّح كلٌّ منهم أنه أذن بقطع أي شجرة ما عدا شجرة الكافور المقدّسة، لكن شوغورو قال إنه لا يصدّقهم وإنه في كل الأحوال سينفّذ ما هو مكتوب. ثم أمر عمّاله بالاستمرار بقطع شجرة الكافور الضخمة.

Twitter: @ketab_n

انتحر الحارس هامادا تسوشيما، وقد تناثرت أحشاؤه هنا وهناك، لكنه قبل ذلك قال لشوغورو إن روحه ستنتقل إلى شجرة الكافور لتهتمّ بها وتنتقم من كينوكونيا.

في النهاية، تمكّن الرجال من قطع الشجرة، لكنهم وجدوا أنفسهم عاجزين عن تحريكها. راحوا يدفعون بكلّ قوّتهم وما كانت الشجرة تتحرّك، وكانت في كل لحظة تعود الشجرة إلى الحياة، وتضرب الرجال بأغصانها تاركةً عيونهم ووجوههم في حالة من الألم. بقي الرجال يدفعون لكن من دون جدوى. لا ازدادت الأمور سوءاً. فقد أمسكت أغصان الشجرة بالعديد من الرجال وسحقتهم حتى الموت. كما تعرّض أربعةٌ منهم لكسور في أنحاء أجسامهم. في هذا الوقت، وصل فارسٌ على صهوة جواده وصرخ:

«اسمي ماتسوماي تاتسينوزوكي وأنا أحد خدام لورد سندائي. رفض مجلس سندائي السماح بلمس شجرة الكافور الضخمة. ولسوء الحظ أنكم قطعتموها، ستبقى في مكانها، وسيغضب سيد سندائي الإقطاعي، اللورد دات تسونامون أيما غضب. قام المقاول كينوكونيا بعمل شرير وسيُعاقب عليه عقاباً وخيماً، أما بالنسبة لوكيل الحاكم فوجيدا جيكي فهو أيضاً

Twitter: @ketab_n

سيُعاقب. أنتم عودوا إلى ييدو، لا يمكننا أن نلومكم على تنفيذ الأوامر، لكن أولاً أعطوني هذا الإذن المزيّف الموقّع من الرجال الأربعة الأغبياء، لا شك أنهم سينتحرون».

عاد شوغورو ورجاله إلى ييدو، وبعد أيام قليلة مرض المقاول، فأُرسِلَ إلى غرفته غسّالٌ. وبعد وقت قليل وُجِدَ كينوكونيا ميتاً، وقد اختفى الغسّال مع العلم أنه يستحيل عليه المغادرة من دون أن يراه أحد! قيل إن روح الحارس اتّخذت شكل الغسّال بهدف قتل المقاول. أمّا شوغورو فقد أصبح مشغول البال حتى إنه عاد إلى شجرة الكافور وأنفق مدّخراته على بناء مزار جديد وتعيين حارس. وقد عُرِفَ المزار الجديد باسم كوزونوكي دزوكا (قبر شجرة الكافور). وبحسب راوي القصّة، ما زالت الشجرة موجودة في مكانها إلى يومنا هذا.

Twitter: @ketab_n

ISBN 978-9948-01-526-0

أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

كلمة
KALIMA

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة